حاجتنا الى تطور تربوي

بين البيت والمدرسة

بقلم نسيم نصر

* * *

بين البيت والمدرسة في لبنان اليوم ، شيء من المفارقة يتفاوت بنسبة ما يحتفظ به البيت من وسائل الماضي المظلم ونسبة ما اخذت المدرسة اللبنانية في اعتماده من الوسائل التربوية الحديثة . ولو ان المدارس في لبنان استوفت تجانسها التربوي كما اوشكت ان تستوفي تجانسها التدريسي لاصبحت علامات الاستفهام التي ترتسم امام عيون ابنائنا وبناتنا اقل بكثير مما هي عليه اليوم . فهذا الجيل الطالع اخذ يعاني منذ اواسط القرن العشرين ، مرارات التجارب ويتحمل اعباء الاختبار الذي نريده وسيلة الى الاستقرار . والاستقرار المنشود لن تقوم له دعائم ثابتة ما لم نعتمد له الاندماج البيتي المدرسي ، اي ان يكون بين الوالدين والمعلمين صلات مستقرة دائمة .

ما هي هذه الصلات؟ ولماذا اصبح وجودها ضرورة؟ اصبح وجودها ضرورة ، وأيما ضرورة ، بعد ان قطع لبنان معظم الطريق الى تحقيق العدالة التربوية ، هذه العدالة القاضية بتكافؤ الفرص امام صغار اللبنانيين جميعا ، وتكافؤ الفرص يعني توفير اسباب التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي لكل فتاة وكل فتى ، وجعل هذه الفرص مجانية . غير ان مجانيتها ، وان لم تكن عامة في لبنان ، فقد عوض عنها الاقبال العام على المدارس واعتبار تأمين الحرف واجبا رسميا وشعبيا كتأمين الرغيف . ذلك ان مقتضيات العصر وضعت هذه المسؤولية التعليمية في مكانها من الوجوب ، بحكم انفتاح الحضارة الحديثة على افاق من العلم والفن والاختراع ، انفتاحا لم يبق في دنيا عجائب العلم ، من مكان لغير المتعلمين .

وفي هذه الغمرة العددية ، من الناشئة المقبلة على مناهل المعرفة ، لا بد لنا من الوقوع على خليط من التلاميذ لا يكفي تصنيفهم في الوحدات المدرسية ، المعروفة بالصفوف ، فهي وحدات قد يكون التوازن المعرفي حاصلا بين افرادها ، من حيث الكتاب والمستوى التحصيلي ، بل يجب ان يكون لكل طالب ملف خاص تسجل فيه ، قبل علاماته الدراسية ، النوعية الخلقية ، والشخصية المسلكية ، اللتان يتميز بهما .

وهذا السجل يجب ان يتوافق على أهمية اعتماده جانبا البيت والمدرسة ، وان يتفقا على تبادل ثقة تبدأ من جانب البيت ، باعتباره مصدر البنوة ومرجعها . فلقد اثبت الاختبار التربوي ان انحراف الطلاب عن جادة التلمذة كثيرا ما يكون سببه الاول طغيان عواطف الوالدين على عقولهم في تنشيء ابنائهم وبناتهم . والعاطفة المعنية في التسبب بهذا الانحراف هي العاطفة المتطرفة على نوعيها : تطرف الشدة وتطرف اللين ، فكلاهما وخيم العاقبة . واذا كانت مخاطر العواطف ، في التربية ، كثيرة عند الاباء والامهات ، نظرا لما تطبع عليه قلوبهم من الشعور المرهف والعطف التلقائي نحو الابناء والبنات ، فان مثل هذه السيطرة الشعورية لا منشأ لها في صدور المربين والمدرسين . فاذا كشف المسؤول البيتي للمسؤول المدرسي عما يريد اصلاحه او يشكو منه في الناشىء ، المعنيين بتربيته ، كان ، في هذا الكشف وسيلة تضمن معالجة نفسية هذا الناشىء وتنقيتها مما يترسب فيها من جراء الاخطاء التربوية البيتية ، وكان في هذا الكشف ايضا ، ما يساعد على تنمية الطاقة التحصيلية .

ولكي تكون الاشارة الى اهمية هذا التكاشف التربوي. من جانبي البيت والمدرسة ، اكثر وضوحا واوفى دلالة على بعد مرماها ، نذكر بأن معظم ما يعانيه شباب الجنسين من مركبات نقص تهدم شخصية اصحابها وتقف حائلا بينهم وبين اسباب النجاح وطرق العلاج ، كانت ، اول امرها ، في الصغر ، رواسب لم يأبه لها الوالدون ولم يقف على حقيقة امرها المربون . او ليس من المألوف ان تجد صغيرين رفيقي مدرسة : احدهما ربيب تطرف في الشدة والاخر ربيب تطرف في اللين ؟ وتلقى صغارا اخرين تتباين بيئاتهم بين قروية ومدنية وتتفاوت حالاتهم بين غنى وفقر الى اخر ما هنالك من تنوع وتباعد في مدارج التنشيء ومهاد الحداثة . فمثل هذا الخليط من النواشىء يجب ان تتوفر له دراسات خلقية واخرى مسلكية قائمة على مثل صراحة البينات التي يستند اليها اطباء الاجسام في معالجة مرضاهم . ولست ادري لماذا يبوح الاهل الى طبيب الجسم بكل ما يعرفونه وما يتوهمونه من داء او علة في فلذات اكبادهم ، في حين يخفون على المربي ، طبيب الخلق والعقل ، كل ما يعرفونه في هذه الفلذات من انحراف او فساد ؟ بل ربما عمدوا الى لوم المربي ومؤاخذته على تنويهه بما قد وقع عليه من تلك الادواء والعلل ، مدعين لابنائهم وبناتهم مستوى من التهذيب لا يحتاج معه الى اصلاح ... والمسؤول البيتي ، في مثل هذه الحال لا يمكر الا على نفسه وولده ، فكأن عين الحب التي اشتهرت بالعمى هي انكى ما تكون في مراوغة الاهل يخفون انحرافات الابناء عن المسؤول التربوي المدرسي . وبقدر ما تصدق الدراسات التربوية المستندة الى السجل الامين المشترك بين البيت والمدرسة، بقدر ما تتسع وسائل التربية وتشتد فعاليتها على ازالة الرواسب من نفوس الصغار ، قبل ان يبلغوا بها مرحلة

الصبا ، فتتحول الى عقد نفسية . وهذه العقد ، ان لم نساعد اصحابها على حلها قبل ان تتأزم فانها تتحول الى مركبات نقص ترافقهم مدى الحياة .

واذا كنا نلح على استحداث هذا السجل المشترك ، بين البيت والمدرسة ، ونرى في المربي الطبيب المرجو لاعداد الاجيال السليمة عقلا وخلقا ، فانه لا بد لنا من الالحاح ايضا على جعل مهنة التعليم اختصاصا دقيق الممارسة تقوم على العلم والتجربة . وكم من مرة نرى فيها المربي النافذ البصر في توسم الطبائع والصفات يقرن علمه بمكتسبه من المراقبة والتجربة والاستطلاع فيعوض عما لم يذكره الاهل تمويها او تقصيرا ، لانه ليس من المستطاع ان يكون كل الامهات والاباء ذوي كفاءات تربوية ، ومواهب تدريبية ، لذلك يجب الا يكون في ممتهني التعليم غير الاكفاء . واذا كان الزواج فالتوليد انتدابا جنسيا لا تسعفه المؤهلات التربوية دائما فانه لا يجوز في المعلم الا ان يكون دائما منتدبا مهنيا وعلميا وضميريا .

ولكننا ، مع هذا الايمان بالطاقة المربية الفاعلة ، لا بد لنا من التسليم بأن المعلم لا يستطيع ان يخلق كفاءات ، بالمعنى الصحيح لكلمة خلق ، ولكنه يستطيع ان ينمي ويقوّم ويشذب ويلقح فيحدث احيانا ما يشبه الخلق . ولقد ثبت لعلماء التربية : « ان العموميات التي يكشف عنها علم النفس ، وان المقاييس التي يستخدمونها لدراسة طبائع التلاميذ ومميزات كل منهم لا يكون لها مغزى الا عن طريق المعلم الذي يترجمها فرديا في حالة كل تلميذ . وخصائص البشر اكثر عددا واخفى طبعا من ان نستطيع ادراكها ببعض المقاييس المحددة ، ومن تمازجها معا تنشأ شخصيات مختلفة كل الاختلاف . » وفي هذا التمازج الذي يولد شخصيات لا تنتسب الى اهل ولا الى مدرسة بشكل معين ، يجب ان نعمق النظرة التربوية ، ونوسعها لعلنا نكتشف ، في معالم هذه النفوس ومكامنها ، ما يوحي بمقاييس جديدة تستطاع اضافتها الى ما توفر لنا حتى اليوم في علم التربية .

وفي سبيل هذه النظرة الرائدة ، في مطاوي الصدور وخلايا الادمغة ، يجب ان نعتمد الاساس العام الذي تقوم عليه اساليب التربية الحديثة ، وهو ان النمو انما ينبعث من حركة النشاط : سواء اكانت هذه الحركة في الاجسام او في الفكر او في المشاعر ، وهذه الحركة المثلثة الحقول البشرية من حس وفكر وشعور هي التي يجب ان نجند لها قوى العلم والاختبار والمراقبة ، ليكون لمهمة المربي فوائدها المضمونة وطريقها الامين .

نسيم نصر

ربيع دائم

•

روحية القليني

•

مصر الجديدة

قالت لي الشاعرة :

ولى الربيع وانت يا قلبي
ابدا تسير بموكب الحب
ما لي اراك تحن في وله
ومع الشباب تسير في الركب
واذا نظرت اليك عاتبة
اهملتني وسخرت من عتبي
واجبتني في آهة سكرى
اسر الجمال وسحره لبي
لا لوم يمنعني ولا عتب
للناس دربهم ولي دربي
ان كان ذنبي انني اهوى
سحر الجمال كرمت يا ذنبي

فاجبتها في بسمة حيرى
هل شاعر يحيا بلا حب
فربيع قلبك وارف ابدا
رغم الخريف المر والجدب

كان حلما

من ديوان « انفاس السحر » المعد للطبع

●

كان حلما يا ترى ذلك ام قد كان يقظه .. ؟
لحظات عابرات سنحت ام تلك لحظه .. ؟

اتراها قد مضت ويلاه لكن كيف تمضي .. !
فهي كلي في حياتي وحياتي هي بعضي !

لحظات هي ام عمر جديد الصفحات
مشرق يهدي التي تاهت بدنيا الظلمات

اتراها هي كأس نبهت راقد حسيّ
فسرت بي نشوة عدت بها اجهل نفسي

أم هي السحر تريني الكون قد غيّر حولي
وهو ما زال كما كان ولكن ذاك عقلي .. !

أم هو الشعر رماني اليوم في بحر الخيال ؟
فاذا بي بين اصداف تراءت كلآلي !

ما الذي صيّرني اليوم أصليّ للاماني ؟
وأنا من كنت أذروها حطاما في جناني ؟

فتصدت لي دنياي لعوبا تتصبّى
فاذا قلبي مشغوف بها قد ذاب حبّا

أأنا أهواك يا دنياي أم ذلك قلبي ؟
شأنه العيش ولا عيش له من دون حبّ !

انه يحيا وان كان بمحياه عذابي
سادرا نشوان يحسو الخمر من كرم شبابي !

انه ريّان لا يعنيه من يشكو الاواما
آه لو حطمته حتى وان كنت الحطاما !

ما الذي تبغيه يا قلبي من هذا التجنّي
انا لا اعلم هل تأتيه كي تقتص منّي ؟

مجرم انت ولكن في ثياب الابرياء
فلذا تخفق من خوف ويأس وعناء !

برات منك حناياك وقد آوتك دهرا
فأنا يا قلب منها بجفاك اليوم أحرى

بغداد عاتكة الخزرجي

في مدينة (س) احدى البلدان المتمدنية في دولة كبيرة تبدو على مجسم الكرة الارضية شيئا مهما ، ظهر عالم فذ اشتهر كمخترع عالمي ، الا انه عاش في بلدته مغمورا لا يجد ثمن المواد الاولية لمخترعاته العديدة الغريبة .

وقد نشرت ابحاثه في معظم المجلات العلمية وكتبت عنه مئات المقالات ، سوى انه انزوى في غرفته المتواضعة بين كتبه وانابيبه يداعب عثنونه مفكرا بصورة مستمرة لا تنقطع ليلا او نهارا في اختراع جديد يفيد البشر اجمعين .

.. وكان منظر العالم حين يخرج للناس في شوارع المدينة مثيرا لسخرية اصحاب المتاجر والمشترين وهدفا بعيدا لحصى الاطفال والمشاغبين ، وذلك لما كان يرتديه من ملابس قديمة ولما كان يبديه من تصرفات غريبة كأن ينسى حذاءه في منزله ويمشي حافي القدمين .

.. الا انه لم يكن ليعير الامر انتباها اذ ازداد اهتمامه في الآونة الاخيرة بأوضاع الفقراء والمعدمين من اهل البلدة ، وكيف ان عليه واجب التفكير في وضع حل ملائم لهم .

وقد راقب ذلك العالم احوال المدينة، وضايقه ان وجد اكواخا خشبية مهلهلة يسكنها قوم متعبون، وعمارات حجرية شامخة يقطنها اناس مترفون .

واستبد به الالم مرة حين رأى امرأة احد العمال تتعسر في ولادتها ثم تموت بين يدي عجوز شمطاء قيل انها مولدة ! !

وحاول العالم ان يجد تفسيرا لتلك الظاهرة فلم يجد سوى حل واحد لها ، هو ان يتيح لاولئك الناس الفرصة في ان يجدوا المال اللازم .

.. وكان ان استغرقه العمل مدة فحاد عن طريق معادلاته وقوانين تراكيبه واضاف مادة كيماوية الى اخرى فانتشر ضباب كثيف في غرفته غشى على بصره ، فتخبط في طريقه نحو النافذة يهم بفتحها ، واذ به يرتطم بجهاز نصب في وسط المكان فانقلب الجهاز على مائدة التجارب واحدث بلبلة وخرابا .

وصحا العالم الى نفسه بعد مدة ليجد ان الفوضى قد عمت الغرفة ، وان الضباب قد زال مخلفا من ورائه انابيب مكسورة واجهزة منثورة ، وانحنى الى الارض بقامته يجمع الحطام ويلملم ما تناثر من ادوات ، وهو يعجب من امر ذاك الضباب الذي خلفته غلطة في خلط السوائل .

واذ هو يزحف بركبتيه على ارضية الغرفة الحجرية ادهشته بقعة زاهية

المدينة س

بقلم وليد اخلاصي

تخلفت عن السائل المراق .

.. حدق فيها يستطلع امرها فاذ هي قاسية لامعة تخطف الابصار وكأنها قطعة ذهبية انجلت بعناية ، وعاينها بمنظاره المكبر . وصعق ! !

كانت قشرة من الذهب الخالص قد تكونت على الارض الحجرية ، وعاود النظر اليها يفحصها بدقة ولا يصدق عينيه ، وكان ان تحقق من تكوينها .

قطعة من الذهب الخالص ، لقد تحولت الحجارة الكلسية الى ذهب ثمين .. هل يعقل هذا ؟ ؟

.. وجلس على كرسيه الجلدي



الكبير يفكر لا يكاد يصدق . لقد تأكد تماما من ان مادته الجديدة التي اهتدى اليها بمحض الصدفة تستطيع ان تحول الحجر الكلسي الى معدن الذهب . وهرع الى زجاجاته يفحص ما بداخلها ويسجل تراكيبها . وقضى معظم الليل في تدوين النسب المستعملة ، حتى اذا كان له ما يريد اقتلع (بلاطة) من الارض كسرها الى قطع صغيرة ، اخذ واحدة منها وصب عليها سائله العجيب وانتظر بقلب واجف نتيجة التفاعل الذي استغرق مدة احترقت خلالها ما يكفي من اعصاب العالم القلق الحائر .

.. وتبدد الخوف من قلبه ليحل الفرح العظيم ، اذ شاهد العالم بأم عينيه قطعة الحجر تتحول في بطء مائع الى قطعة لامعة ، قطعة ذهب تخطف الابصار . وطار صواب الرجل وخرج عن وقار اهل العلم واتزانهم ، وجعل يرقص في الغرفة كطفل سعيد وهو يردد بصوت متهدج : لقد ملكت العالم .. لقد ملكت العالم ..

.. وايقظته من نشوته حركة الناس في الشارع تدب مع الصباح الباكر ، فاتجه نحو النافذة وفي نفسه رغبة ان يحدث الناس عن نتيجة ابحاثه الباهرة .. ثم انتبه الى حقيقة الامر حالما لامست وجهه نسمات الصبح الباردة .. الم يعاهد نفسه على ان يكون للفقراء معينا ؟ الم يقسم ان يكون فوق اي مغنم واسمى من اي ربح ؟ .. انه لو اعلن الامر على اهل المدينة لتسابق الاغنياء الاقوياء اليه يطلبون منه السر ، اذا لضاعت الفرصة على الاخرين ..

ـ ثم انني لا ابغي مالا .. ذهبا كان ام ماسا ! !

ومر من امامه عامل مصنع وقد حمل صرة الغذاء بيمناه وراح يسعى في الطريق الى عمله ، وحدث ان مر بقربه صاحب متجر كبير يتأبط محفظة جلدية لا بد انها غير محشورة بالطعام بل بالاوراق الهامة ، نقدية او غيرها . وقارن العالم بين الرجلين،

راقب الوجهين ، ثم استبطن الحالتين ، الاول والثاني . ولم ينتظر قيام محاكمة في عقله لمقارنة الاثنين بعضهما ببعض ، اتخذ قرارا ، ونفذه بنفس السرعة التي اتخذها به .

.. فتح النافذة ونادى العامل بأعلى صوته ، وكان الرجل قد ابتعد بصرته ، ولما عاود العالم النداء انتبه والتفت صوبه ، فأشار اليه العالم بيده ان احضر ، استغرب العامل ثم حضر . وكانت الدهشة ما زالت ترتسم على وجه العامل حين دخل غرفة لا اثاث فيها سوى كرسي قديم يقف كالحارس لاجهزة غريبة وانابيب وبواتق لم ير مثلها في حياته رجل كالعامل الفقير .

اشار العالم له ان اجلس فجلس كالمأخوذ على الكرسي فغاص فيه .

ـ اسمك ؟

قال العالم نشوان ، ورد عليه العامل بالجواب مراقبا انفعالات العجوز الغريبة وقد داخل قلبه بعض الدهشة . ولما كان العالم مشهورا بين اهل البلدة بتصرفاته غير العادية فقد لزم العامل مكانه يكافح في ذاته رغبة صارخة في ان ينطلق هاربا .

.. وبرقت في يد العجوز قطعة معدن اخذت على الرجل بصره فركزه فيه ينظرها . قال العالم : اتريدها ؟

ـ هذه ؟ قال العالم وهو لا يرفع عن المعدن البراق عينيه .

ـ من الذهب الخالص .. وعندي منها الكثير ، لو اخذتها يا بني ماذا انت فاعل بها ؟

ـ ذهب خالص ؟

تلعثم الرجل ثم تابع وقد رفع باصرتيه الى العجوز وكأنه يسترحمه:

ـ سأشتري لنفسي بيتا من الحجر ، رطبا في الصيف ، دافئا في الشتاء ، وسأحرق كوخي الخشبي الذي تكاد الفئران ان تأكله .

فتساءل العالم : وهل يضايقك كوخك ايها الرجل ؟

ـ ومن يرضى عن كوخه ، كلنا ننظر الى القلاع الحجرية القليلة ونتحسر ، الاغنياء وحدهم يملكونها .

تنهد العالم وقال : صحيح يا بني لم يعد هناك حجر في المقالع .

ثم طرد تنهيدة وقال في حماسة الشباب : عندي لكم يا اصحاب الاكواخ الخشبية ما هو اهم من البيوت الحجرية ، عندي لكم ثروة كهذه لا ينضب لها معين ولا يجف بئر ، واشار الى قطعة الذهب .

ولمعت عينا الرجل وصاح : وكيف ذلك ؟

استند العالم الى المائدة الكبيرة وجعل يقص على العامل في بساطة كيف انه اهتدى الى تركيب كيماوي، لو وضعته على الحجر الكلسي لتحول الى ذهب خالص .

ـ يا الهي .. ذهب خالص .

... هتف العامل وقد استوى واقفا .

ـ سأعطيك قليلا من هذا التركيب .

ـ لا اكاد اصدق .

ـ وسأعطي كل واحد منكم قليلا منه ، وبذا اكون قد استرحت . ولم تعد لكم حاجة للتأفف فلا تموت نساؤكم عند الولادة ، ولا يشرد لكم طفل في الازقة .

جعل العامل في نشوة وكاد ان يحتضن العالم الذي ادار له ظهره وشرع يعد التركيب في انبوبة صغيرة وهو يتمتم بصوت واضح :

ـ وستكون لكم حدائقكم المزهرة ...

خطف العامل الانبوبة وطار بها الى الشارع .

.. ضحك العالم في اسى ، ومن ثم ابتدا يشعر بالتعب الذي امتزج به على مر ساعات طويلة ، فاسترخى على كرسيه ثم اغفى .

خرج العامل الى المدينة يجري في شوارعها وقد رمى بصرة طعامه الى الارض وامسك بالانبوبة يضمها الى صدره ، وكأنه يسمعها دقات قلبه المتسارعة في فرح .. العنيفة في بهجة . وطافت براسه احلام كثيرة كان عليه ان يحققها بأسرع ما يمكنه. سيهب زوجته المخلصة سوارا ثمينا تستطيع ان تتباهى به امام الناس ، وسينقش عليه تاريخ زواجهما وكلمة حب جميلة ، كأن يكتب على السوار : ذكرى الحب الابدي ، او ..

ومر بحانة تفتح ابوابها للشاربين ليل نهار ، انسرق من بابها المتحرك وطلب لنفسه كأسا كبيرا من الجعة المنعشة ، جعل يشربها في تلذذ ونشوة تطغى عليه تجعله يطلب محادثة اي انسان في سعادته الجديدة . وقد وجد عن يمينه صاحب مصنع الالات النحاسية ، حياه فقال له الرجل :

ـ الم تذهب الى عملك بعد ؟

ـ لم تعد بي حاجة للذهاب الى العمل . قال العامل وهو يمسح الجعة عن شاربيه .

فأجاب متهكما : وهل اصبحت غنيا ؟ اكتشفت منجما ؟

ـ اكثر من منجم .

واشار لخادم الحان ان يوافيه بكأسين اخرين ، واحد له والاخر لضيفه صاحب المصنع .

وعجب الرجل من كرم العامل فاقترب منه يسأله في اهتمام :

ـ لا بد انك عثرت على مقلع جديد للاحجار ! !

اجاب العامل في ثقة : وما قيمة الحجر العادي ، عندي ما هو اهم ! ؟

ـ وهل هناك ما هو اهم من الحجر ؟ !

وطلب العامل كأسين اخرين ، وكان يصغي الى الحديث رجل يملك متجرا كبيرا للاغذية، ويحتسي القهوة.

قال العامل وقد لعبت الخمرة براسه وهو يشير الى الانبوبة :

ـ هاكم سر الثروة التي لا تنتهي.

ضحك صاحب المصنع : السر في الانبوبة . ها ! !

توقف العامل عن نشوته وقد ضايقته سخرية الرجل منه وهتف في قسوة : الا تصدقني يا بائع النحاس الرخيص ، الا تعلم ان في الانبوبة سحرا يحيل الحجر الى ذهب ، نعم

ذهب خالص ، وليس نحاسا كما تصنع انت ..

قال رجل في ركن : لو ان الخمرة تحيل النحاس الى ذهب لاصبح هذا ملك العالم. واشار الى رجل النحاس في قسوة .

هتف العامل : بل انا ملك العالم . واخرج من جيبه قطعة حجر صغيرة كان قد اخذها من غرفة العالم ، وازال سدادة الانبوبة ، وصب بعض محتوياتها على الحجر الموضوع في كاس ، وكان صاحب المصنع يراقب تصرفات المخمور العصبية ، وهو يعلم علم اليقين ان الامر مجرد عبث.

.. لم تمض دقائق ، كان فيها العامل يرقب التفاعل بشغف وعيون الرجال تنظر ايضا ، حتى اصبحت قطعة الحجر ذهبا خالصا .. وتجمدت عيون الرجل وفغر فاه وسقط الكاس من يده ، وتجمهر الرواد القلائل في الحان وقد اعتراهم نفس الشعور الذي تقمص رجل النحاس الذاهل .

وجعل العامل يداعب قطعة الذهب في انتصار .

هتف رجل النحاس في جنون : لا بد انها من اختراعات العالم المجنون ؟ !

قال العامل في احتقار : ليس بمجنون ؟ بل هو صديق للفقراء .

اما رجل التغذية الذي كان يحتسي قهوته فلم ينتظر لحظة في مكانه ، غادر الحان وفي راسه تدور مشاريع عديدة ، منها شراء العمارات الحجرية في المدينة ، وكان يهتف في سره فترتعش للهتاف اعماقه : انا ملك العالم! اما وجهته فكانتمنزل المخترع

.. اما التطورات في الحان فكانت على الوجه التالي :

تناثر الناس الذين سمعوا الحكاية في الشوارع ينشرون النبأ . العامل اكمل احتساء جعته في نصر مبين ، وصاحب المصنع النحاسي ترك المكان باتجاه بيت العالم .

وصل صاحب متجر الاغذية الهادىء الاعصاب ، طرق الباب ، لم يجبه احد ، وحاول مرة اخرى فلم يسمع نداؤه .

.. وفي المدينة الصغيرة لم تستغرق الاشاعة سوى دقائق ، تعطلت بعدها المرافق العامة ، وتوقف العمال عن العمل ، واتجهت عصابة نحو مقابر الاغنياء تقتلع احجارها . وتنافس رجال الاعمال على عقد صفقات لشراء البيوت الحجرية ، كان كل واحد منهم يهتف في سره فترتعش للهتاف اعماقه : انا ملك العالم !

وتقابل رجل النحاس برجل التغذية عند باب بيت العالم ، وكانت مقابلة حادة ، كقطين ، كوحشين وأتهم الاول الرجل الثاني بأنه قد سرق فكرته فهو اول من سمع بالاختراع من العامل ، اما الرجل الثاني الهادىء الاعصاب ، فقد صد عنه رجل النحاس وسفه رايه ، فما كان من الاول وقد صحا من نشوة الجعة ليقع في نشوة الذهب ، الا انه اعتدى على الثاني بالصفع ، فرد الثاني على الاعتداء بلكمة اردت صاحب المصنع على الارض قتيلا .

ذعر رجل التغذية وقد راى جماعة من الناس يتجهون نحو بيت العالم فترك الباب واتجه الى النافذة ليكسر بقبضته زجاجها ، ثم ليتسلل الى غرفة العالم الذي صحا مذعورا على صوت الزجاج المتناثر ، وصاح في الرجل : من انت ؟ ماذا تريد ؟

اجاب صاحب المتجر وقد بدا كوحش جريح : سر الذهب !

قال العالم متجاهلا : اي سر ؟

ـ السر الذي يحول الحجر الى ذهب .

ضحك العالم في سخرية وقال : وما الذي تبتغيه من هذه المعرفة وعندك متجر كبير تربح منه اكثر مما تحتاج ؟ ثم انني لا املك سوى القليل من هذه المادة ، وانا احتفظ بها للمحتاجين لا للاغنياء .

وتجهم وجه الرجل وزاد وخشية وهو يقترب من العالم صارخا : لقد قتلت لتوي رجلا ، ولن افشل في مسعاي . اريد السر .

ونظر الشيخ العالم الى القسوة المحفورة على وجه الرجل فقال في اشمئزاز : يا لك من تاجر طماع . هيا اخرج ، وادار له ظهره احتقارا .

فما كان من الرجل الا ان سعى خلفه وامسك به يهدده ، فقاومه العالم ، الا ان القبضة الحديدية التي قتلت رجل النحاس من قبل لم تحتملها طبيعة الشيخ الرقيقة فوقع على الارض مغشيا عليه . ولم يابه له الرجل فراح يبحث عن سر الاختراع على مائدة التجارب .

.. وكما ذكرنا فقد انتشرت الاشاعة في المدينة ، واضطربت احوالها ، واستغلت الفرصة جماعات من اللصوص فجعلت تنهب وتسلب. وتوجهت جماعات اخرى نحو بيت العالم. وحمل الاولاد فؤوسا ومعاول وراحوا يقتطعون الحجر من العمارات حتى تهدمت اسوار كاملة ، ووقعت حوائط عديدة .

ورجال الامن فقدوا عقولهم ايضا حتى اذا تجمعت امام منزل العالم مئات من الرجال والنساء والاطفال ، كسروا الابواب ودخلوا المنزل كل يبحث عن السر لنفسه .

.. وقد فوجىء رجل التغذية بالجموع تدخل عليه فحاول الهرب الا ان الغوغاء امسكت به وقد ظن البعض ان الرجل قد استأثر بالسر.

وتزايد الناس في الغرفة . اما العالم فقد ذهب بين الاقدام قتيلا . وضاعت الاوراق .. والتجارب .

وانتشرت الفوضى والحرائق ، ونهبت المنازل ، وتهدمت البيوت الحجرية ، ولم يبق اي اثر للنظام .

اما العامل الذي رفعته الخمر الى السماء السابعة فقد كان ما يزال سابحا مع احلامه الوردية يرتع في حدائقها كطفل صغير .

حلب — وليد اخلاصي

تـراب الـوطـن

* * *

عظة الزمـان وآيـة بكتـاب ... تجـلى بنـور حقيقـة كشهـاب
وامانة فـي مثلها عذب الـردى ... وغـدا العـذاب المر غير عـذاب
جمعت من الاحساب اكرم صفحة ... كانـت تشع بثاقـب الاحسـاب
ووعت جليل مآثـر لاحبـة ... ومـن الوفـاء رعاية الاحبـاب
هذا التراب كتـاب كـل حقيقة ... غبرت وعنـوان لكـل كتـاب
فصل الخطاب بـه لكل مسائـل ... يبغي الصواب وفصل كل خطاب
صفحاتـه شرف الجهاد تضمخت ... بدم الشهيد ورفعـة الاحسـاب
ما كان بدعا ان يطيـب واكبـد ... من دونه هطلت بكف سحـاب

درج الزمان يجر فضل مآزر ... من دونـه بمواكـب الاحقاب
وجرت ليـال فوقـه بحـوادث ... جلئت دقائقها عـن الالبـاب
وترعرع التاريخ فـي احضانـه ... طفلا وعود الدهر نفـح شبـاب
سطرت يـد الايـام اروع صفحة ... لحـضارة ذهبيـة الاطنـاب
رفعت ممرَّدة القباب الى السهى ... بعزيمـة مردت بغـرب عبـاب
مـن دونها تجد العيون شواخصا ... من حيرة عرضت ومـن اعجـاب
تتساءل الاحقـاب ما مرت بهـا ... وتكـرُّ مسرعـة بغير جـواب
فاذا الحوادث اسطر مطموسة ... وودائـع مخبـؤة بـتـراب
ومن العجائب ان كل عجيبـة ... مرهونـة يومـا بطيّ كتـاب

نشطت (امية) دونه وتسابقـت ... تجري لمكرمـة وكسـب غـلاب
عـزُّ التراب ببأسهـا لمـا مشت ... للفتـح تضرب فـي جناح عقاب
نقشت بمنهمر الجراح سيوفها ... طغراء مجـد لـم تشن بمعـاب
وفتْ (امية) للثرى مـا يقتضي ... حق الثرى من نائـل وثواب
لم تبخس الارض الحقوق ولا العلى ... اجـرا قضاه المجـد مـن اتعاب
ادت جزيـلا للمعالـي مـن دم ... وتعففت كرما عـن الاسلاب
فاذا لهـا فـي كل افـق رايـة ... للفتح قد صبغـت دما بخضاب
ومنار حـق ساطـع ومنارة ... في كل مفترق من الابـواب
ما كان بدعـا ان تسود (امية) ... والحكم للاخـلاق والآداب

الصدق آيتـه التـي لا يمترى ... في صدقهـا يوما بشوب كـذاب
خلصت عن الاوشاب فهـي طهارة ... لا بهـرج قـد ذوقـت بسـراب
ولـرب وجـه في الحيـاة مقنع ... بنقاب مكر للاذى وحجـاب
مبتسم والـداء فـي قسماتـه ... والسم فـي الاضـلاع والانياب
هتـك التراب نقابـه لمـا ثـوى ... قيد الثرى ورمـى بكـل نقـاب

ليس التراب سوى امانـة جيـرة ... وودائـع لاحبـة وصحـاب
من دونها التاريخ يربـض جاثما ... وكانـه قـدر بعـدوة بـاب
يملي عـلى الاجيـال كـل عظيمة ... تستأثر الالبـاب مـن اعجاب
والحر من يرعـى الامانة جاهدا ... ليصون اعـراضا عن الاوشاب

دمشق ... **عدنان مردم بك**



فاضل السباعي

الابداع في القصة

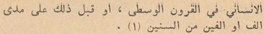
بقلم فاضل السباعي

* * *

نام ملء جفوننا ... ولكنهم يلبثون في هداة الليل ساهرين ، يناجون الوحي ويبدعون من ومضات الالهام عالما زاخرا بالحياة تواضعنا على تسميته « بالقصة » ... اولئك الساهرون المبدعون هم الكتاب الروائيون !

وليس من شك في ان للقصة ، على مختلف فنونها والوانها ، فريقا من القراء عظيم العدد لا يعدله قراء اي فن من فنون الادب . فللقصة في العالم رادتها الكثر كمنشئين مبدعين ، ولها قراؤها الزاحفون الذين لا يحصيهم عد ، وانهم في كل مكان على وجه البسيطة ، وقلما خلا بيت من قارىء للقصة ، الا ان يكون اهل هذا البيت ممن لم ينالوا من العلم حظافهم اميون او أشباه اميين!

وعندما نورد ، ههنا ، لفظة القصة ، فانما نعني بها القصة بمعناها العام ، من « الاقصوصة » ـ القصيرة ـ التي ابتدعها في القرن التاسع عشر الكاتب الامريكي ادغار الن بو اسلوبا فنيا مستجدا ، وسار على نهجه في روسيا غوغول ، ثم في جيل لاحق كل من تشيخوف وموباسان.. الى « الرواية » ـ الطويلة ـ التي لم تكن بنت قريحة هذا العصر الحديث الذي نحيا فيه ، وانما هي من ابتداع الفكر



الانساني في القرون الوسطى ، او قبل ذلك على مدى الف او الفين من السنين (١) .

والاقصوصة ـ في المصطلح الفني ـ غير القصة ، وغيرها الرواية . فلكل من هذه الالوان شكله الفني ومضمونه ومجاله . فالاقصوصة ، وليدة العصر الحديث، تستهدف بالدرجة الاولى عرض حادثة بسيطة او ازمة ذات توتر نفسي معين يعيشها البطل ... وتزداد عناية القصة بسرد الحوادث وسبر اغوار النفس دون ان يشترط ان تكون لها بداية ونهاية ومغزى ... فانما هذه من شروط الرواية التي تصور في منتهى العناية الحياة ، في دفقها وزخمها وما تشتمل عليه من المتناقضات والمفارقات ، وكثيرا ما امتد « الزمن » فيها سنين عددا .

ولنا ان نقول مع القائلين : ان الاقصوصة والقصة ان هما الا « شريحة عرضانية » للحياة تمثل وجها صغيرا من وجوهها ، فاما الرواية « فشريحة طولانية » يتمثل فيها المزيد من وجوه الحياة !

ولقد ظل القراء على ولائهم للرواية يفضلون مطالعة فصولها في كتاب يصور لهم عوالم ما كان لهم ان يعرفوها او يقفوا على اسرارها لو لم يطلوا عليها من نافذة هذا الكتاب الروائي او ذاك ... ظلوا على هذا الولاء والوفاء ، وسيظلون ابد الدهر . واما اهتماماتهم بالاقصوصة ، فهي بنت ساعتها ، تولد والصحيفة في ايديهم ، وتموت عندما يفرغون من قراءة « قصة العدد » في الصفحات الاخيرة من المجلة او الجريدة اليومية .

اقول : ننام ، او ينام القراء ملء جفونهم ... ويلبث اولئك الاخرون في هداة الليل ساهرين ، يستثيرون في الالهام ومضاته الشتيتة العصية ، ليتخطفوها ، فيمدوها على القرطاس قصة تأسر وتستهوي .

كيف تبدع هذه الفئة فنها ؟ كيف يستلهمون فكرات قصصهم ، ليصوغوا منها تلك العوالم الزاخرة بالحياة الضاجة بالصخب ، بالفرح ، بالحزن ، وبسائر الانفعالات التي يكابدها الانسان ؟ وهل يستمدون مادتهم من وقائع عاشها نفر من الناس حقيقة ؟ ام انهم يستوحونها من الخيال جميعا ؟

سؤال محير ... هل له من جواب حاسم ؟

كثيرا ما تستوقفنا ، ونحن نطالع قصة ، لفتة يبديها الكاتب ، او حادثة دقيقة الملامح يصورها قلمه الرهيف.. نتوقف ازاء ذلك معجبين مذهولين ! وربما قال احدنا محدثا نفسه : « ان مثل هذا قد وقع لي يوما ، او هو وقع لاخي او لصديقي او لاحد الناس ممن اعرف ، فهل تراه وقع للمؤلف حتى اجاد في الوصف والتحليل ؟ ان

(١) في ظننا ان من اكثر الروايات القديمة قربا الى المفهوم الروائي الحديث ، هي الرواية المسماة « دافنس وخلوا » تاليف لونغوس الكاتب الاغريقي الذي عاش في الفترة ما بين القرنين الاول والثاني الميلاديين .

هذا لشيء بديع ! ان الكاتب ، لا بد ، قد اخذ ذلك عن الواقع ! »

والحق، لقد اتى على الكتاب حين من الزمن كان احدهم يحسن زهوا اذا ما اشار الناس بأيديهم صوب رجل ضمه مجلس وهم يقولون : هذا هو بطل الرواية الاخيرة التي كتبها الروائي فلان ! ولكن هل كان ذلك في صالح الفن ، اعني ان يقبس الكاتب حياة واقعية برمتها ويدونها في قصة او رواية ؟

ان الروائي مطالب بالابداع ، لا بالنسخ عن الواقع . فما الفن الا خلق ، خلق على نسق الواقع ، ومحاكاة له . حقا ان له ان يستعير من الواقع الغفل ما شاء من الشخصيات والحوادث ، على ان يدخلها جميعا في اتون ذاته ، فتدركها نار فنه فتصهرها ، ليتاح له ان يصبها في القوالب التي يقتضيها الفن السوي .

وليس ثمة - في رايي - اخطر على الفنان من النسخ عن الواقع . وعندما نستشعر ، ازاء قصة ، ان في حوادثها ما ينافي منطق الاشياء ويبعدها عن الطبيعي المألوف الى الغريب الشاذ ، ونعلن ذلك لكاتبها اخذين عليه هذه المنافاة والبعد ... يكون اضيع جواب نتلقاه منه : «ولكنها قصة وقعت بالفعل ، فما رايكم ؟ ! » ، ثم يشمخ بانفه ، معتقدا انه قد دحض راينا وافحمنا بما يزيد عن الكفاية ! ولكن نقطة الانطلاق في نقدنا له ان حوادث قصة تحمل في داخلها بزرة الواقع ، بدمه الحار وبعده عن منطق الاشياء معا ... وانما على الكاتب الا يقف امام الواقع موقف الذي يأخذ عنه في ، آن واحد ، حرارته المرغوبة وغرابته الممجوجة . ابدا ... ان عليه ان ينظم هذا الواقع الغريب ، فيحيله الى واقع مألوف مستساغ . ان طفلا يسقط من شرفة بيته في الطابق الثاني الى ارض الشارع لا بد ان يموت او يكسر فيه عضو من اعضائه ، واما ان يسقط سقطته هذه ، في قصة من القصص ، ثم ينهض ليعاود صعود الدرج كما لو انه قفز من ارتفاع متر ، بدعوى ان السقطة جاءت على غير مقتل او مكسر ، فذلك شيء ترفضه الواقعية الفنية التي تطلب تبريرا ... وليس للكاتب ان يجيب على اعتراضنا بانه عرف طفلا سقط هذه السقطة عينها ثم قام على ساقيه يمشي ... ان للواقع غرائبه ، ولم يكتب بعد على الفن ان يسطو على غريب الواقع متخذا منه مادة له ، ما دام في الحياة طبيعي مألوف لا ينضب معينه (٢) .

وهكذا تحتم على الكاتب ان يزاوج ما بين الواقع وبين الفن في قصصه . وكلما وفق في هذه المزاوجة قدر له ان يحقق من النجاح اسمى مراتبه .

(٢) تراجع في هذا المعنى الدراسة التي نشرها الدكتور رشاد رشدي في مجلة « الكاتب » ، العدد الثالث يونيو ١٩٦١ ، تحت عنوان « الفرق بين الخلق والتعبير » ، محللا فيها قصة « قنديل أم هاشم » اشهر قصص الكاتب المصري يحيي حقي .

واذا لم يكن له ان ينسخ شخصياته وحوادثه عن الواقع نسخا ، فانه - لكذلك - يستحيل عليه ان يبراهم من خياله خلقا ليس على شاكلة مخلوق ! وان رجل الفن ، كما يقول فرانسوا موریاك « كالطيور السارقة ، فهذه يقال انها تلتقط بمنقارها كل ما سطع ولمع وتخفيه في عقر اعشاشها ، وذلك يدخر في حداثته وصباه زادا من الصور والاشباح والالفاظ ، فمن صورة تذهله الى حديث يخلب لبه الى حكاية تأسر فؤاده ، وسواء هزته هذه الامور ام لم تهزه فانها لا تفنى فناءها في غيره من الرجال ، بل ترسب في قرارة نفسه وتختمر فيها من حيث لا يدري وتتوارى في حناياها الى يوم تبرز منها وتنبثق ... » (٣) .

من ذلك الزاد المدخر ، اذن ، من ايام الحداثة والصبا ، يستقي الكاتب القصصي مادته . وقد يستقي بعضهم مادته من ايامه الراهنة لا الغابرة ، اذا ما تأتى لتجاريبه المحدثة ان تصبح على حال من النضج والنماء يؤهلها للتزيي في لباس عمل ادبي جني الثمرات . هذا الى ان بعضهم الثالث يتأثر بتجاريبه المعاشة الى حد الغلو والاغراق . وعندما نشر جيمس جويس قصته الموسومة بـ « صورة الفنان في شبابه » كان الناس يعرفون على نحو واضح من تشير اليهم القصة من شخصيات تعيش بينهم وتدب بأقدامها على الارض .

واغرق ارنست همنغواي في هذا السبيل ، حتى ان ابطال روايته «وما تزال الشمس تشرق» هم انفسهم في الواقع مما حملهم على السخط على الكاتب لما تضمنه الكتاب من معنى التشهير بهم . وفي ذلك قيل انه كان اولى بهمنغواي ان يسمي كتابه : « ست شخصيات تبحث عن مؤلف ، ومع كل منهم بندقية » المراد الاشارة الى غضب الشخصيات لدرجة العزم على القتل ... وقد علق الكاتب على هذا بقوله : « ومع ذلك لم تنطلق رصاصة واحدة » !

على ان من الروائيين من الح على الاستيحاء من ذات نفسه ، متخذا من نفسه بطلا او مستعيرا منها ملامح بارزة يهبها لاحدى شخصيات قصته او للبطل الرئيسي فيها . ان الفتاة « جين » في الرواية الموسومة بـ « جين اير » ما هي في الاصل الا الفتاة شارلوت برونتي ذاتها مبدعة الرواية ، بقامتها الدقيقة الناحلة ودمامتها النسبية وذكائها المتقد . وعندما احبت جين المستر روشستر ، فما هذا الحب ، الا ذلك الحب اليائس الذي استشعرته مس شارلوت في حياتها الواقعة تجاه معلمها « مسيو هيغير » المتزوج والاب للاولاد الخمسة ، فانطوت عليه تمخضه وتصعده ، فاذا هو يعطي الادب الروائي العالمي

(٣) من مقالة له مطولة عنوانها « الروائي واشخاص رواياته » ، نقلها الى العربية باسلوبه الرصين ونشرها في مجلة « الكتاب » المحتجبة رئيس تحريرها عادل الغضبان ، في الاعداد المتوالية ديسمبر ١٩٥٢ وفبراير ١٩٥٣ ومارس ١٩٥٣ .

رواية « جين اير » الخالدة .

وما اكثر ما يولد دوستويفسكي شخصية المصاب بالصرع في رواياته ، مستمدا ذلك من مرض الصرع الذي لم يبرا منه طوال حياته ، مثلما كتب وابدع في شخصية « المقامر » لانه هو ذاته كان من المفتونين بالطاولة الخضراء أيما افتتان . ولست احسب شخصية اللورد هنري في قصة « صورة دوريان غراي » الا شديدة الشبه بشخصية مبدعها اوسكار وايلد التي تكشفت عن شذوذ جنسي فاضح . وبدأ شروود اندرسون حياته الادبية باستعارة شخصيات اصدقائه الذين يقطنون معه في المنزل الواحد وابداعها في بواكيره القصصية الاولى . واما غي دوموباسان ، فقد اخذ حياة امه التعسة ليدير عليها اول قصة مطولة وضعها وسماها « حياة » . وشد ما استقى غوغول من شخصيته كموظف ضئيل الشأن يقوم بعمل كتابي في دوائر الحكومة ، لا سيما عندما ابدع قصته « المعطف » ... ما ذاك الا لان الكاتب بحاجة الى مادة اولية ، وانه لواجدها في أقرب الناس اليه كما يجدها ، قبل ذلك ، في ذات نفسه هو !

وانه ليتلفت حواليه في معظم الاحيان مستوحيا قصصه مما وعته ذاكرته من الاخبار والحوادث والطرائف. لقد سمع تولستوي بخبر انتحار سيدة ارستقراطية تحت عجلات القطار ، فاستوحى من هذه الواقعة روايته « انا كارنينا » . وعندما فرغ فلوبير من تلاوة مخطوطة روايته « غواية القديس انطوان » على اثنين من خلصائه نصحاه بان يلقي بهذا الكتاب الى النار فلا يتحدث بشأنه الى احد ! ثم اشير عليه ان يكتب مأساة ذلك الطبيب الذي يدعى دولامار ، والذي تزوج من فتاة حسناء هي ابنة مزارع في احدى القرى ، فانتقل ليمارس مهنتــه في تلك القرية ، ولكن زوجته الشابة الطموح سرعان ما تضيق بمعاشرة زوجها البليد وتنفر من حياة الريف ورائحة حظائر الماشية ، فترتمي في احضان اول عاشق يظهر في افق حياتها ، ثم يهجرها فتذوق لذة العشق في احضان من تصادفهم من الرجال ، وتهوي من مذلة الى مذلة ، وهي في ذلك تبدد اموال زوجها وتقترض ويطاردها الدائنون ، حتى تمسي حياتها خليطا بشعا من اليأس والاضطراب ، فتتجرع السم في سبيل الخلاص من عذاباتها ... من هذه المأساة الواقعية استمد فلوبير رائعته الخالدة « مدام بوفاري » ، فأبدعها بأسلوب مشرق بليغ يعني بالجزئيات التفصيلية عنايته بتحليل ادق المشاعر الهاجسة في نفس بطلته الشابة الحسناء : ايما بوفاري !

هكذا ، هكذا يبدعون من ومضات الالهام عوالم تزخر بالحياة : من استيحاء حادثة ، واستعارة شخصية ، وتوليد مغزى ، وخلق وابداع ... ان ذلك كله يبدأ في نفس الروائي على صورة اشراقة تومض في خاطره ، فتلهمه فكرة ما ، يحصنها وجدانه فترة من الزمن تقصر او تطول ، وترفدها في ذلك اشراقات مكملة هي اشبه ما تكون بالاعضاء المتناسقة للجنين المستكن في رحم امه ، وبعد فترة الحضانة يشرع الكاتب في عملية المخاض ، وليس يجدر بنا الظن انها عملية لا يخالطها العسر العسير ما دمنا قد افترضنا ان التناسق العضوي قد انتشر في ارجاء الفكرة المستلهمة . ان عملا ما روائيا لا يمكن قط الجزم بشأنه بأنه قد ولد تام التكوين ، انه ابدا في حاجة الى خلق ، والى حضانة ، والى تنسيق بين جزئياته ، والى بذل العناية كلها في التخير والاصطفاء قبل ان ينتصب كائنا سويا . وما اعسره من مخاض ، او ما اعسرها سلسلة المخاضات العنيفة المتوالية تلك تتم في هدآت الليالي ، حين تكون العيون الاخرى كسلى يرنق عليها وسن لذيذ ، وحين تصطخب نفس الكاتب حتى الاعماق لاعطاء كائن ما معاني وملامح اكثر حيوية ووضوحا !

ولنفترض ، الان ، اننا بازاء ابداع رواية (٤) . هذا يعني ان تكون لدينا فكرة مسبقة عن موضوع روائي بعينه . اننا نعلم ان كل عمل روائي لا بد ان يقوم على استقطاب هوى من الاهواء او فضيلة او رذيلة ، من مثل العدالة والظلم ، الحب والغيرة والكراهية ، النفاق ، الاثرة، البخل ، الاستغلال ، العمل ، النضال ... الخ ، فأي معنى من هذه المعاني الانسانية تستقطبها الرواية التي نزمع ابداعها ؟

اني لاذكر اربع فكرات ماثلة في مخيلتي منذ سنوات طويلة ، تلح علي الحاحا موصولا وتستعجلني في مخاضها روايات ما كنت لاظن في نفسي القدرة على وضعها بما املك من عدة روائية ما تزال في طور النمو ... ولطالما ثقل علي التفكير ببنات افكاري الاربع هؤلاء ، فحاولت اطراحهن جانبا على غير جدوى ! اقول لهن : « انتن فكرات عظيمات جديرات بروائي مقتدر ! » ... فيجبنني : «انت ابونا وبارئنا ، وكل فتاة بأبيها معجبة ! » .

ان بناتي الاربع الغوالي يتفاوتن من حيث الموضوع والحادثة والشخصيات . اولاهن ، الابطال فيها اثنان ، ويقوم موضوعها على الحب والاثرة والاستغلال ... والبطولة ، في الثانية ، اريد ان اوليها لاسرة من خمس او ست شخصيات ، وينهض موضوعها على العمل الكادح الشريف المؤدي الى أطيب الثمرات ... وابطال الثالثة سكان بناية حديثة في حي من احياء المدينة ، تتوزعهم مختلف العواطف والاهواء ، ويطرح بين ايديهم عديد من المشكلات التي هي بنت الحياة المدينية ... ومشكلات الرابعة ريفية خالصة ، البطولة فيها للقرية ، لقرية برمتها تنام في حضن جبل من الجبال التي تزرع الزيتون والكرز في غربي موطني حلب .

---

(٤) اقول رواية ، لانني بدوت ، هنا ، اكثر اهتماما بالرواية مني بسائر الوان القصة .

فاذا تعين علي ان أقدم أحدى هذه الفكرات الاربع على سواها ، قدمت الثانية ، تلك التي تعرض لاسرة تجاهد بكدها الشريف للظفر بمغانم الحياة . قدمتها لعدة اعتبارات ، لعل اهمها وضوح المسار الانساني في كل حادثة ارسمها لها في خاطري ، ثم ان نفسي قد حضنتها على مدى اربع سنين طوال ، مستشعرا في ذلك منتهى اللذة لانني اخوض مع « اسرتي القصصية » معركة كبرى من معارك الحياة .

ولاستحضر ، اذن ، اللحظة التي الهمت فيها هذا الموضوع . كنت اشهد احتفالا بعيد الام ، او اعمل فيه ، فقدّر لي ان اقف على سير حياة بعض الامهات في بلدنا ، امهات شقيات مغمورات ، ولكنهن جاهدن جهادا رائعا في تربية اولاد لهن بلغوا اخر الامر من التوفيق في الحياة مبلغا بعيدا . ونظرت ، يوم الاحتفال ، الى احداهن التي اختيرت « أما مثلى » لذلك العام ، وهي في وقفتها على خشبة المسرح ، وانصت الى عريف الحفلة جوارها وهو يوجز للحضور سيرة حياتها وكفاحها وما حظي به اولادها من نجاح ... والام ، هذه المرأة العامية المجاهدة ، تتطلع في وجوه الحاضرين رافعة الراس شامخة الانف مزهوة.. ويتعالى التصفيق من الجمهور الذي استثير اعجابه وحماسته لما سرد العريف من خبر البنات والابناء ، فاذا هم يحتلون المراكز المرموقة ويحيون في نعيم ما كان لهم ان يفيئوا الى ظلاله لولا سلسلة من التضحيات بذلتها الام طائعة مختارة ... انها أم جديرة بالتقدير والتقديس !

منذ ذلك اليوم ، وفكرة لرواية رائعة تلح علي الحاحا شديدا ... رواية ترصد صراع ام واولادها مع القدر ، مع الظروف القاسية التي حاصرتها وتكالبت عليها ، ليصل بها قارب النجاة ، بعد جهاد عنيف ، الى شاطىء الامان ظافرة منصورة !

الفكرة الرئيسية اذن مقتبسة من الواقع ، من دم الواقع الحار . ولكن ذلك ليس كل شيء في الرواية . انه اول العناصر ليس الا ، يتلوه مائة عنصر او الف ، قبل ان يتاح للعمل الروائي ان ينجز على الوجه الفني المرغوب .

اجل ، لقد جاهدت الام وبلغت بأسرتها غاية النجاح . ولو ان جهاد الام كان مقرونا بجهاد الاب ، لفترت حدة الجهادين وغدت الرواية نموذجا انسانيا عاديا مما نراه في كل اسرة . الا ان الروائي مضطر لان يضخّم الصراع استجلاء للمعاني السامية المستخفية فيه ... فليمت الاب في مطلع الرواية ، ولنر الى الام ما يكون شأنها وحيدة تصارع الاقدار .

وينبغي ان نحيط علما بما اذا كان الزوج الراحل قد خلف للام الارملة مالا ، أم انه لم يخلف شيئا ؟ الا ان الضرورة ، ههنا ، تتطلب امرا : ألا يخلّف الاب من المال الا اقله ، الا الكفاف ، استظهارا للصراع بين الام المجاهدة وبين الفقر والحرمان . ان بطل « الشيخ والبحر » ، ذلك الصياد الذي نزل الى البحر ليصطاد السمكة العظيمة ، لم يشأ همنغواي ان يصوره لنا شابا قوي الزند مفتول العضل ، ولو كان فعل لاضاع روعة الظفر فاذا هو عادي اقل من ان يكون نموذجا للظفر الذي ندين له بالاعجاب ، ولكن الصياد صوّر لنا في الثمانين من عمره ... ويا له من ظفر رائع ينتهي اليه صراع عجوز متداع مع سمكة هائلة في قلب البحر الطامي طوال يوم وليلة ويوم ثان وليلة ثانية ...

ونتساءل ، بعد ، عن عدد الاولاد الذين يجدر ان يتركهم الاب لتجاهد الام من اجل اعالتهم وتربيتهم ؟ قد يكونون واحدا او خمسة او عشره او اكثر . فاما الضرورة الفنية فتستلزم ألا يكون العدد كبيرا ، حتى اذا كثر اشخاص الرواية ، الابناء في الاسرة ، تعذر على القارىء ان يمنحهم مشاركته الوجدانية وضاق ذرعا بالرواية ضيقا نخشى معه ان يلقي بالكتاب جانبا وهو يقول ساخطا : « نبع من الناس ، من أين لذهني ان يحيط بهذا العدد من الاخوة ؟!» ... ولكنا لن نجعل الاولاد واحدا ، ابنا واحدا او ابنين اثنين ، فالجهاد المثمر ــ ايضا ــ لا يبرز الا مع الكثرة من البنين . فبحسبهم ان يكونوا خمسة ، وخير الامور الوسط !

وتثور ، هنا ، مشكلة جديدة : الاولاد الخمسة هؤلاء ، هل يحسن ان يكونوا ذكورا ، أم بناتا ، أم خليطا من الجنسين ؟ لو جعلوا ذكورا لهان جهاد الام ، فالابن لا يحتاج الى الرعاية الحريصة بالقدر الذي تحتاجه البنت ... فليكونوا بناتا خمسا ، ولتكن الام حاملا في شهرها الثامن يوم يفارقها زوجها الذي لم يبلغ الاربعين من العمر (٥) .

والام اسمها كوثر ، ولتصغر زوجها بسنوات خمس او ست ... وبنتها الكبرى ، نورة ، فتاة في الخامسة عشرة ... واسم البنت الثانية سليمى ، وفرق السن بينها وبين اختها ــ كما هو بين سائر البنات ــ سنتان .. والثالثة هالة ... والرابعة ؟ لاسمها رابعة ... والاخيرة عالية ... والطفل ، الذي سيولد اوائل الرواية ، علاء او محمد علاء الدين ...

وليكن الاب ، قبل رحيله ، عطوفا على بناته ، محبا لزوجته ، يتشوق في الوقت ذاته لاستجلاء طلعة الصبي . انه ليقول لزوجته كلما وضعت له بنتا بعد بنت :

ــ علاء الدين ، هذا المشاكس العنيد .. الا يريد ان يأتي الى الدنيا ؟

وتنكّس الام راسها في حزن . كانت الثرثرات من نسوة الحي قد اطلقن عليها « أم البنات » ، وأمسين يخفين عنها مواليدهن من الصبيان مخافة العين ! فاذا عرف الاب مبلغ حزنها قال غير متنصّل :

---

(٥) اني لاستعير في هذا الخصوص واقعة شهدتها بنفسي وانا طفل صغير : جارة لنا لم يكتب لها ان تلد غير البنات ، حتى بلغ عددهن الست ، فلما مات الاب ، والام حامل ، وضعت طفلا ذكرا !

ـ كوني مطمئنة ، يا كوثر . بطنك بستان ، وانا فيها الزارع الساقي ، وانت التي ترعين غراسي ! ان كان ذنب فهو ذنبي . فارفعي عن نفسك الحرج !

كذلك يجب أن نرسم شخصية الاب قبل رحيله ، حتى يتعاظم احساس الاسرة بالفقد وحتى يستوجب استذكاره بالخير دائما وتحقيق امانيه التي لم يقدر له تحقيقها . انه ليبدو لنا حريصا ، رغم رقة حالته المادية ، على ان تنال بناته حظهن من العلم ، فلتدخل البنت الاولى دار المعلمات ، لتغدو معلمة ذات راتب تساعد الاسرة في حمل الاعباء. وانهمعني ببيته وبتنظيم شئونهغير متقاعس عنتنمية الروح التربوية العالية في نفوس بناته ، وهو يأتلف عادة لا يخلفها مع ميلاد كل بنت من بناته : يغرس دالية صغيرة عقب مولد نورة ، وشجيرة ياسمين لسليمى ، ووردا لهالة، ورمانا لرابعة ، وشجيرة كباد لعالية (٦) . وان البنات الكبيرات منهن اللواتي يعين في ابيهن هذه العادة ، يسألنه ذات يوم وهو يسقي حوض الاشجار ، عن الشجرة التي سيغرسها يوم تهل على الاسرة طلعة علاء ، هذا الاخ الذي ارقتهن اللهفات اليه ؟ فيجيب الاب مشرق المحيا :

ـ لاخيكن علاء شجرة فاخرة ... لسوف ازرع له شجرة تفاح !

ويتحتم ان تكون الام ذات هواية تؤهلها للعمل المنتج ، هي الخياطة . انها تخيط لصغيراتها الحبيبات كل ما يلبسن من ثياب ، وانها لترغب في بعض المرات الى زوجها ان تخيط الثياب الصغيرة للناس بالكراء . ولكن الاب ذو انفة تمنعه من قبول هذه الرغبة . الا اننا نسمعه وهو على فراش الموت يلفظ وصيته الاخيرة :

ـ يا كوثر .. اني تارك لك الدار التي نسكنها .. وراتبا « تقاعديا » صغيرا يستحق لي عند الحكومة التي خدمتها حياتي .. وان في هذا الصندوق وفرا ادخرته لمثل هذا اليوم (ويغمض عينيه الواهيتين) لا تحزني كثيرا، يا كوثر . انها مشيئة الله ان اموت باكرا (هنا تعض الام بنواجذها على شفتها وقد فاض بها الغم) لقد عرفتك ربة بيت مدبرة تحسنين الخياطة ، فخيطي للناس بالكراء ، ما في ذلك ضير وانت غدا ارملة بلا زوج ، كي تستطيعي ان تطعمي الارواح اللواتي تعلقت مصائرهن بكفيك ، وتلبّي حاجاتهن المدرسية ! !

وهكذا يسمح الرجل لزوجته بخدمة الناس بعد طويل امتناع . وما احوج الرواية الى ذاك التمنع ، ذلك ان الام لو اتيح لها ان تعمل خياطة منذ البداية ، في حياة زوجها ، اذن لما غمض عليها درب الحياة واشتد قتاما وعسرا : كانت خياطة وستظل . ولكن الحاجة الطارئة هي الدافع لان تبدأ شق درب ما كانت كبرياء الاسرة لترضى المسير فيه .. وانه لدرب غير هيّن بعد تلك الانفة في الاب والعزة في الام وما توارثته البنيات عن الوالدين من طبع ابيّ عزيز !

يموت الاب ، ثم تضع الام وليدها محمد علاء الدين ، وتغرس له شجيرة التفاح ، وتعم الدار فرحة وبهجة ، ويعود الى الشجيرات الخمس الواجمات صداح العنادل والعصافير ... ويبدأ ، من هنا ، جهاد الام وما اصعبه من جهاد ! تتقاسم البنيات العمل في البيت : نورة تضع خبرتها الضئيلة مما تلقته عن الام من بعض العلم بالخياطة تحت تصرف الاسرة ... وتختص سليمى بكيّ الملابس بعد تمام خياطتها ... وترحب هالة بأن يعهد اليها بفتح العرى ولفق دائر الثياب ... وليس على رابعة ، بنت السنوات التسع ، الا ان تتكفل بتسكيت الامير الصغير علاء والهائه عن البكاء ... واما عالية الصغرى ، فبحسبها ان تقتصد في افراطها في اللعب واللهو ، لتأخذ عن الاسرة ما تستطيع من اعباء يسيرة متفرقة !

بيد اننا لا نملك الا ان نتساءل ، والاسرة تسير في دربها الجديد العامل الحزين : أليس للاسرة من اقارب يبذلون لها العون في هذا الكرب الذي نزل بها ؟ بلى ، ان لها لعمًا .. فهل هو طيب النفس كريم عطوف على بنات اخيه ؟ لو اعطيناه هذه السمات لبدت المأساة ، مأساة الاسرة، اقل حدة، ونحن ما زلنا حريصين على ان نضخم المأساة جلاء لمعنى الكفاح . اذن فهو غير عطوف ، ذلك ان للعم زوجة قاسية تمنعه من ان يبدي عطفا على ارملة اخيه ، ومما يزيد في قسوتها الان ـ بعد ان قضى ابن حميها نحبه ـ ان ارملته ولود بينا هي عاقر ميئوس منها ، وانها لتبذل طوال حياتها جهدا في الحفاظ على زوجها من ان يتطلع الى زواج ثان يحقق له اشباع عاطفة الابوة عنده ، ولقد كانت في الماضي تحضه على الا يزور بيت اخيه لئلا يرى الى البنيات فيه فتتأجج في جانحيه عواطف الابوة المكبوتة ، وانها اليوم لاشد حضا على عدم زيارة ذلك البيت بعدما تولى عنه صاحبه مخافة ان يبني بأرملة اخيه !

قلنا من قبل ان الام في طور الشباب ما تزال . ونزيد الان بأنها على حظ من الجمال . افلا يحتمل بعد هذين ان يخطب ودها احد من الرجال راغبا الزواج بها بدافع الشوق وبدافع الاحسان ايضا ؟ وهذا الراغب ، هل يحسن ان يكون ابن خمسة وعشرين او في الاربعين او الخمسين من عمره ؟ عزبا أم متزوجا ؟ منطق الاشياء يقتضي ان يكون الثاني ، ابن خمسين ومتزوجا ؟ فلنفترض اذن ان في الزقاق ، الذي تسكنه الاسرة ، جارا نسميه هلال ، الحاج هلال ، زوج لاثنتين ويتطلع الى التثليث ، وهو منفتح النفس على دنيا النساء ، وهو لكذلك ميسور

---

(٦) وهنا استعرت ما حدث لي قبل عشرين عاما يوم عمدت ادارة المدرسة التي اتلقى العلم فيها الى غرس اشجار الغار في الاحواض المنشأة ، فكلفت كل طالب بغرس شجيرة بيديه ، متيحة له فرصة تعليق بطاقة باسمه على فرعها اذكاء لروح المشاركة ما بين التلميذ وامه الطبيعة .

الحال يملك خانا ويأخذ على عاتقه ، منذ يعلم بخبر وفاة جاره ، ان يتكفل على نحو ما بمؤونة الارملة ... وانه ليطرق ذات يوم ، وقد تقضت على الوفاة اشهر ، باب بيتها ، فتستقبله الام في شيء من الاستغراب وهي التي تشعر نحوه بشعور التقدير : فهو يقدم لها مؤنتها السنوية لقاء ، ما تخيط لاولاده الاربعة عشر من ثياب ، فلما تفهم مراده من الزيارة بما يلمح اليه في الحديث ، تصده بلطف ... ثم تنثني تخاطب بناتها بعد ان ينسحب الجار مخذولا دون غايته :

— ليتني ما اعيش ، أاستبدل به سواه ؟ ليتني ما اعيش ! لقد كان ابوكن ، يا بناتي ، رجلا عظيما ليس له بين الرجال نظير ! ان الحب والدلال اللذين غمرني بهما ، والعاطفة الابوية التي منحكن اياها ، لا يمكن ان تحظى بمثلها زوجة او اولاد ! كل الرجال بعده باطل . ليس لنا بعد ابيكن رجل .. الا هذا الامير الصغير النائم في سريره!

وتلتقي الابصار على طلعة علاء في غفوته الوادعة .

وهكذا تضحي الام بفرصة للزواج لداعيين : الوفاء الخالص لزوجها الراحل ، وتصميمها على بذل عنايتها جميعا في تنشئة بناتها الخمس والامير الصغير . وفي هذين المعنيين تكمن بسالة الام في جهادها الانساني .

على ان الام تنظر الى البعيد البعيد : الدار مملوكة لها ولبناتها ، وثمة راتب تقاعدي صغير بدأت تتقاضاه مطلع كل شهر ، وفي الصندوق وفر مدخر ، وهي اليوم تعمل في خياطة ثياب الصغار والبسيط من ثياب السيدات ... ولكنها تريد مزيدا من الضمان للمستقبل ، للغد المجهول الذي لا تملك منه شيئا . ان في الدار غرفة مهجورة ، هي المربع او العليّة ، فما يمنع من تأجيرها ، ليس لاسرة فقيرة ، ولكن لاحدى معلمات المدارس الغريبات عن البلد ... وعندما تحمل احدى البنات ، في اول العام الدراسي الجديد ، رغبة معلمة التدبير المنزلي في ان تسكن غرفة « مفروشة » عند اسرة ليس فيها رجال ، سرعان ما يسترعي ذلك اهتمام الام ، وانها لتهمس في اذن البنت صباح اليوم التالي فيما هي متوجهة الى المدرسة :

— قولي لمعلمتك ان في دارنا غرفة مفروشة ، وليس في اسرتنا سوى رجل واحد عمره خمسة اشهر !

وتنزل المعلمة في المربع ، بعد بيان رقيق من الام ، أملته عليها عزتها الاصيلة ، بأن ليس في الدار من خادمة فكل يخدم نفسه ... واما الطعام ، فانى تشاء الضيفة الكريمة مشاركة الاسرة مائدتها ، فأهلا وسهلا ومرحبا !

اجل ، فان جهاد الام ينبغي ان يتخلص من شوائب الاحسان والخدمة والمهانة بجميع مظاهرها . ولكنها في تعاملها مع السيدات الخائطات ، الى اي مدى يتسنى لها ان تحافظ على كرامتها فلا تمسها سيدة ممن في نفوسهن صلف وتكبر وعنجهية ؟

لقد توجب عليها ، كخيّاطة ، ان تتلقى مطاليب الزبونات وملاحظاتهن بصدر رحيب . ولكن بعض هذه الملاحظات لم يكن بد من ان يصدر عن السيدات بصيغة اوامر : قصّري الاكمام ! وسّعي فتحة الصدر ! علّي الخصر ! زمّيه ! اوه ، يجب ان تنجزي لي الفستان غدا صباحا ، فعندي بعد الظهر موعد مع خطيبي !

وتلوذ الام ، الابية الانوف ، بالصمت منطوية على جرح الكبرياء ، وتنحني على ابرتها متابعة عملها . ويشتعل الغضب في صدر هالة ، البنت الوسطى ، فهي اذكى البنات واكثرهن رهافة وتحسسا بمشكلات الاسرة ، وتتمنى لو تطلب الى امها مترجية : « يا امي ، تعالي نعتزل الخياطة فهؤلاء الغلاظ ما يفتئون يجرحون كبرياءنا ! » . ولكن كيف تعلن هذه الخاطرة وقد غدت الخياطة مورد الرزق الاكبر للاسرة الناشطة الطامحة ؟

وعن نزيلة المربع معلمة التدبير المنزلي ، تتلقى الام وبنتها نورة ، التي اضطرت الى هجر دراستها ولزوم البيت تعين امها ، فن الخياطة على اصولها المدروسة . فارتقت الاسرة في مضمارها العامل المثابر ، وجعلت تخيط ثياب الكبار ، فيغل ذلك لها دخلا طيبا مرموقا ...

وتسير الحياة بالاسرة سيرها المطمئن : عمل في البيت ، ونجاح البنات في المدرسة ... ولكن الحياة لا تسلس قيادها لمخلوق مهما كان شأنه . لا بد من جموح ، كيما يحتدم الصراع ، صراع الانسان مع قدره ، فيكتب النجاح لمن هو حقيق به ويقضي المستضعف تحت الارجل العابرة العجلى .

ولقد اسلست الحياة قيادها للاسرة الناشطة ، طوال سنة او سنتين ، غدت بعدهما البنت الكبرى في الربيع السابع عشر ... وماذا يكون من شأن الفتاة اذا ما بلغت هذه السن في بيئة محافظة لا تعرف الانطلاق ؟ لا بد ان يقرع الباب شاب يطلب يدها !

ويدخل على حياة الاسرة التي تعيش مع ذكرى الاب عنصر جديد بهيج : هوذا رجل يمسي من افراد الاسرة . انه « عمر » ابن الاثنين والعشرين ربيعا ، الذي يؤدي خدمة العلم على حدود الجنوب .

وتفرح به البنات فرح نورة بخطيبها وفرح الام بصهرها الاول . ويا لها من سعادة تلك التي عمرت القلوب ليلة ان رافق عمر خطيبته والبنات الى السينما فأدخل الى نفوسهن فرحة ما كان لهن قبل اليوم ان يذقن لها مثيلا . ورنقت آمال الاسرة فوق محيا الشاب الكريم المرح المفتون بخطيبته . ثم انه يمضي الى الجبهة بعد اجازته ، انتظارا لفراغه من اداء خدمته العسكرية .

فاذا اتحنا له بعد ذلك فرصة العودة والزواج السعيد الهانيء ، فنحن اذن نزوّر على الحياة الواقعة ، فانها قلما تسخو بمنح النعيم الا مسربلا بالدم . وانما نريد في الرواية ان نمتحن الام بصنوف الرزايا فنرى مدى ثباتها

وحي صورة

من ديوان « سوانح العزلة » المعد للطبع

صورة اوحت وكادت تنطق ... طلعة تسبي ونور يشرق
ولها روح الشذى من روحها ... ويكاد العطر منها يعبق
اخذت تسبح في احلامها ... ومن الاحلام ما لا يصدق
صنتها في حوزتي ضنا بها ... من سؤال او حديث يطرق
عشت ايامي في اكنافها ... وهي كنزي ونعيمي المغدق
كلما غامت بنفسي ترحة ... وتراءت زال هم مقلق
نعم القلب بميثاق الهوى ... فتجنى ثم ضاع الموثق
وهما الضدان لن يلتقيا ... مثلما شئت ـ المنى والمنطق
يا ترى من مثلت في حسنها ... لم تزل ام شاب منها المفرق ؟
وذوى الحسن الذي اسهدني ... معرضا عني وزال الرونق
وتوارت فتنة آسرة ... وغدا المفتون وهو المشفق
رب من يأسر يوما يشتكي ... من اسار واسير يطلق
لو علمنا عبث الحب بنا ... ما عشقنا ليتنا لا نعشق
والليالي كلما مرت قست ... ساعة تصفو ويوما ترهق
ذكريات العمر منها بلسم ... لجراحاتي ومنها محرق
نشوة لذت بأيام الصبا ... وظنوني من جناها تشفق
وظللت العمر من اعقابها ... وانا العاتي الحزين المطرق

القاهرة **فاضل زكي فاضل**

وجلدها ومثابرتها على المسير رغم النكسات المتوالية .

ويأتي الناعي يوما يحمل النبأ الاليم : لقي عمر مصرعه على الحدود برصاص الاعداء الغادرين .

وتنتكس احوال الاسرة ايما انتكاس ، ويخيم عليها جو حزين قتال . وتصاب نورة ، الفتاة الشاعرية الحالمة ، بالتياث في عقلها . وهنا لا بد ان تعلن الثرثرات من نسوة الحي :

ـ كوثر وبناتها يأكلن الرؤوس .. هي ضيعت زوجها في عز شبابه .. وبنتها الاولى جاءت شؤما على خطيبها فلقي مصرعه قبل ان يدخل بها !

خنجر حاد يغمد في القلوب الشقية . ان القدر يغالب ويغلب ، وان المجتمع ليتشفى في غير رحمة ، وما على الاسرة الصامدة الا ان تنهض من عثرتها وتتابع المسير .

ويشتد الصراع حتى ليحبس القارىء انفاسه امام ضربة اخرى تنزل بالاسرة بعد عامين او ثلاثة . ان نورة الحزينة التاعسة ، نورة التي تعمل في البيت خياطة دون ان تنال من الدنيا اي حظ ، نورة الشمعة التي تضيء بنورها عتمة شقاء الاسرة ... نورة هذه لقد آن لها ان تذوي ، انها تذرف دمع الحياة ، حتى لقد نفد عندها زيت الحياة . فلما اوتيت من العمر عشرين ربيعا كان الموت لها بالمرصاد .

ولنسمع بعد ذلك المجتمع يقول بلسان الثرثارات فيه :

ـ كوثر بدات تقبر بناتها !

الم نقل ؟ ان للمجتمع لسانا كالسنان ، يطعن ويدمي ولا يحس شفقة او رحمة !

وتعلن الام ، اذ تسمع ذلك ، عزمها على مغادرة الحي جميعا . ان هذه الدار « دار احزان » ، وان الجارات الجاهلات ليزدن في اساها على نحو يكاد يشقها غيظا وقهرا . وتستبدل الاسرة بالدار دارا اخرى ، طابقا في بناية حديثة ... فماذا يكون من شأنها هناك مع الاقدار ؟

احسب انني اغدقت على الام من الاحزان ما فيه الكفاية ، ويكفي ما استنزفنا من دموع القراء ، والقارئات

خاصة ... ولتجر الحياة منذ الان في الدار الجديدة على نحو اخر . ان البنات ما زلن في دراستهن مجدات مثابرات : سليمى تدخل بعد الكفاءة الى دار المعلمات فتغدو معلمة مدرسة ذات راتب ... وهالة تحصل على شهادة البكالوريا ، ولكنها تبحث عن سبيل اخر غير سبيل اختها ، انها تتوظف في احدى الدوائر الحكومية وتتابع دراسة الحقوق على ما هو شائع في بلادنا ... ورابعة تنهي كذلك دراستها الثانوية وتدخل موظفة في احدى المؤسسات... وعندما يحين للصغرى عالية ان تدخل الجامعة يكون لها ان تختار كلية الطب ، ففي الاسرة الان عناصر اربعة عاملة ناشطة : الام وثلاث من بناتها هنَّ سليمى وهالة ورابعة .. واما علاء الصغير ، فانه يقفز صفوف الابتدائي حتى يدخل التجهيز .

وشخصيات الرواية فتيات قد بلغن من العمر الصبا الناضر الريان . وهكذا يتعين على سليمى ، المعلمة ، ان تتزوج من زميل لها في مهنة التعليم ... وتعلق هالة — الذكية المرهفة الحس — بأحد زملائها في الكلية ، يسبقها بصفين ويكبرها بأعوام اربعة ، وهو ابن لمحام مشهور في البلد ... وتتزوج رابعة من موظف في المؤسسة ... واما عالية ، فما تزال تتلقى العلم على مقاعد كلية الطب ...

اني اصنع شخصياتي واوجهها الوجهة التي اريد . ولكنها ليست عبيدا عندي تسير دائما في الخط الذي ارسمه لها . لقد طالما تمردت شخصيات على مؤلفيها فسارت في غير الخط المرسوم ، مبتدعة لنفسها خطا اخر اكثر انسجاما مع طبيعة الظروف التي احيطت بها . وهكذا ساجدني في حيرة امام هالة المرهفة ، طالبة الجامعة المتفوقة ، في حبها لزميلها « سمير » ! لقد شئت لها ان تكون كشقيقاتها فاضلة بين فاضلات . ولكن الاختين الاكبر والاصغر تتزوجان وهي ما تزال في حبها ودراستها ووظيفتها . وبعد ان تنتقل اولاهن الى بيت الزوجية ، يعصف بهالة شعور غريب طاغ لا يقاوم . وانها لفي الجامعة مرة ، بعيدة عن رقابة الاسرة ، ومملوكة من مشاعر الحب لفتاها وعاطفة الغيرة مما كان قبيل ذلك من زواج الاخت ، تستسلم في لحظة ضعف لمن تحب . انها لا تفقد كل شيء ، ولكنها تفقد معنى الطهر الذي تعتز به كل فتاة !

وتزداد هالة تعلقا بفتاها بعد هذا الذي كان بينهما . وانه ليكنُّ لها من الحب مثل ما تكن له ... ولكنه اذ يتخرج من الكلية يصارحها القول بانه راغب في ان يتابع دراسة القانون في فرنسا ! !

ويا لها من اشجان تكابدها الفتاة بعد السفر ! انها لترى فيه مثالا للغدر والخيانة ، وترى في نفسها مثالا للضعف والبلاهة ... ويحتدم في ذات نفسها صراع خفي يهز كيانها هزا ، لا سيما عندما تصلها منه رسالة عقب سفره يجدد فيها حبه ، ويبدي عذره في الاضطرار للسفر ، ويخيِّرها بين ان يحلها من روابط حبه او تتقبل منه ان يتابع مراسلتها كصديق وفيّ . وتختار هي ان تهمل فيه شخص الخائن المتخفّي في اهاب النبل والتسامي !

وانه في سفره يتابع تحصيله لسنوات اربع او خمس ، تتخرج هي من كلية الحقوق ، وتعمل محامية لسنة دون ان يقدر لها الزواج رغم ما تملك من مؤهلات التفوق والصبا والحسن . ولا تكف عن الحنين الى ذلك الغادر الذي لا بد يستمتع الان بشبابه على ضفاف السين . ويخالجها الاحساس بالنقص بعد الشعور بالفراغ ، فتعزم على متابعة تحصيلها العالي مثله ولكن في جامعة القاهرة .

الاسرة الان — فيما الهمنا من احداث — تسير حياتها على نحو موفق سعيد : بنتان موظفتان متزوجتان تنجبان اولادا ، واخرى محامية تواصل دراسة الحقوق في قسم الدكتوراه ، والاخيرة في كلية الطب ... الام تتطلع الى سعادة بناتها فتحس رضا ، تحس منتهى الرضا . وان الاسرة لفي يوم اذ تطرق الباب لجنة نسائية — ها نحن اولا قد انتهينا الى نقطة البداية في الفكرة الملهمة — تبحث عمن ترشحها لتكون اما مثلى ...

وفي الاحتفال ، اخريات الرواية ، تقف عريفة الحفلة لتعلن امام الجمهور المتطلع باعجاب الى كوثر في وقفتها الرائعة على المسرح ، الى الام التي صنعت بجدها من بناتها شيئا عظيما :

— سيداتي سادتي .. انها « الام المثلى » ..

ويعلو في القاعة تصفيق . وتتابع العريفة :

— انها ام عز نظيرها بين الامهات . لقد ترملت وهي في الثالثة والثلاثين من عمرها . وخلف لها زوجها خمسة اولاد ، ولم يترك لها من المال سوى الكفاف . فجاهدت صابرة حرة كريمة ، لتقوم بأولادها على مقاعد الدرس (هنا ترفع الام راسها بزهو ، يبدو انها تزداد شعورا بالفخر مع كل كلمة تنطق بها العريفة الشابة) عملت السيدة كوثر خياطة في منزلها ، تعكف على ماكينتها ساعات النهار واطراف الليل ، تساعدها بناتها حين يفرغن من استذكار دروسهن . (هنا تعرو البنات في انصاتهن موجة من الفرح العظيم حتى ليخيل اليهن كانهن يحلقن الى اعالي الجوزاء) تخرجت سليمى قبل سبع سنين من دار المعلمات ، ومدت من يومئذ الى اسرتها الناهضة يدا مسعفة ، وانها اليوم متزوجة وأم لصغار ثلاثة : وليد وخالد وزياد .. انها لا تنجب الا الذكور ! (تختلج سليمى من عاطفة طاغية) ودرست هالة الحقوق وهي موظفة . وانها اليوم محامية مرموقة ، دون ان تقعد بها همتها عن متابعة علومها القانونية في قسم الدكتوراه بجامعة القاهرة ! (يدوي التصفيق في القاعة حادا ، وتبحث العيون عمن تكون هالة بين البنات الاربع) واما رابعة ، فقد عملت موظفة في احدى المؤسسات ، وهي اليوم ، أم

لسمير وسهام . ودخلت عالية في العام الماضي كلية الطب . ويعد محمد علاء الدين ، الابن الاصغر ، نفسه لدخول كلية الهندسة عما قريب (يعود التصفيق حادا منسجما في ايقاع تحدثه الاكف بانتظام) ونظرا لجهاد السيدة كوثر ، فقد تقرر ان تسمى اما مثلى لهذا العام ، وتمنح جائزة ووساما رفيعا من وزارة الشؤون الاجتماعية . ايها الحفل الكريم ، ان ام علاء ام مثلى ، فحيوا معنا جهادها الرائع !

ها انذا الان احقق الفكرة التي كنت الهمتها قبل اربع سنين وحضنتها في خاطري منذ ذياك التاريخ . يخيل الي اني برأتها عملا روائيا — من الوجهة النظرية — يبعث على الرضا ويلائم تطلعي الانساني .

ربما كان ظني صحيحا . ولكن الرواية لم تنته . ان فيها عنصرا ما يزال بحاجة الى الاشباع . انها هالة ، التي تمردت علي فأفقدت نفسها معنى الطهر الذي تعتز به كل فتاة . هل يجدر بي ان ادعها هكذا وامضي لطيتي ؟ اني اجرح الفضيلة اذن في هذه الاسرة المجاهدة الظافرة ! اما من حل لمعضلتها هذه الهالة المتمردة ؟

حسنا ! . . .

عندما تقف الام وبناتها ، تلك الليلة الخالدة ، في باب القاعة يستقبلن تهاني المهنئين ، يبرز من بين الوجوه لهالة محيا طالما اغترف ناظراها من بحر حبه . هوذا يسعى اليها ، وفي عينيه شوق ، وفي عينيه قلق :

— كيف انت .. يا هالة ؟

ويتناول يدها مصافحا ، والقلق يغشى عينيه . وهنا يقلب مترفقا كفها ، وينظر الى اصابعها ، الى بنصرها . يجده متحررا ، خاليا من كل اسار . فيغادر عينيه القلق ، ويشرق محياه بمزيد من الاشواق .

تقول له : متى عدت من باريس .. يا سمير ؟

يجيبها : اول الامس ، يا هالة . هل لي ان ابدي اسفي واجدد اعتذاراتي ؟ سأزوركم في بيتكم مساء غد ، ان سمحت . لقد قرات الخبر في الصحف هذا الصباح ، فقلت القاك هنا . هل ما زلت حزينة يا هالة ؟ لم يكن بد من سفري ومن ذلك الهجران الموقوت الذي كلفني راحة قلبي طوال السنين الخمس . ابتسمي لي ، يا هالة ، ارجوك . لسوف ازوركم غدا . لقد صح عزمي !

ويفترقان ... ليعيش كل منهما ليلة من عمره غير منسية . ثم يتعين على القارىء ان يقفل الكتاب هنا ، وهو متصور ما سوف تستقبله شخصيات الرواية من حدث اخير .

وبعد .

لم اتكلم في أسلوب العرض الاكثر توافقا مع احداث الرواية . هل يجدر بي ان اتخذ — كمؤلف — موقف الراصد ، فأعرض لكل شخصية من الشخصيات ، وكلهن في الواقع بطلات رئيسيات ؟ ان ذلك كفيل بأن يطيل الرواية بما يوجبه علي من تتبع خطوات كل منهن ، وهن يبلغن الست او السبع عدا . فاذا اوليت احداهن موقف الراصد ، تروي الرواية من وجهة نظرها ، بضمير المتكلم ، فتصور ما تشاهد في ظواهر الاخرين ، معبرة في الوقت ذاته عما يخالجها هي وحدها من مشاعر واحاسيس ، كان ذلك اقرب الى نفس القارىء ، وكان ادعى الى الايجاز والاقتصار على سيرة واحدة او سيرتين .

ومن تراها تكون تلك الراوية ؟ الام ؟ ولكنها ، كامرأة لم تصب حظا من الثقافة ، يبدو من المستبعد ان يصدر عنها كتاب ، مذكرات في كتاب ، تروي سيرة حياتها . احدى البنات اذن ... ومن تكون ؟ هالة ، لا سواها ، فانها ذات شخصية متميزة عن اخواتها ، بما يصطخب في ذاتها من تمرد ، ورهافة ، وذكاء ، وطموح جعلها محامية ودارسة في قسم الدكتوراه .

وهكذا ، يجدر بي ، اذا ما اتيح لي ان املك عدة الروائي وموهبته وشمول نظرته ، ان استهل الرواية على النحو التالي :

« اسمي هالة ...

« عشت واخواتي طفولة زاخرة بالاسى لم نذق فيها طعم السعادة الا لماما . ذلك ان ابي كان قد قضى نحبه قبل اثني عشر عاما ، ونحن بعد بنيات خمس صغيرات ، ولم يخلف لنا سوى امنا ، كنزنا الرائع الحبيب . ولكنه ما نسي ، قبل ان يمضي الى غايته ، ان يودع في احشائها املا بتنا نهدهده على حذر واشفاق ، انتظارا لاخ يخلف الراحل العزيز ويكون لنا معينا وحاميا !

« كان ابي يقول لامي كلما وضعت له بنتا بعد بنت :

« — علاء الدين ، هذا المشاكس العنيد .. الا يريد ان يأتي ؟

« ويستضحك . وما كانت الضحكة لتصدر الا عن القلب المعنى . وتنكس امي راسها ، حزينة هي الاخرى ، وتطبع على خد الرضيع الجديدة بين يديها قبلة الحنان ، وكأنها خائفة عليها من شر خفي . اعطته خمس بنات على التوالي ، بين الواحدة والاخرى سنتان ..... » .

هل امضي في استهلالي ؟

ذلك في كل عسر . ان الحديث عن عمل روائي ممتع لاكثر يسرا بما لا يقاس من العكوف عليه وتحقيقه وانجازه على الوجه المرغوب . وما اكثر الفكرات التي تحضنها افئدة الروائيين ، ولكنها قليلة تلك التي تتحقق في عمل اقرب الى الكمال وابقى على الزمن ! (٧)

حلب — فاضل السباعي

(٧) الحق ... لقد اتيح لي اخيرا ، في شتاء وربيع العام ١٩٦٢ ، ان اضع هذه الرواية ، تحت اسم « ثم .. ازهر الحزن ! » .

وازاحت من امامها صحن الفريز الناضج الاحمر ، وابعدت باليد الثانية اناء السكر الناعم الابيض ، والتقطت من على المائدة علبة الدخان فأخرجت منها واحدة ووضعتها في فمها واشعلتها بسرعة . ومن بين الدخان المتصاعد الى سقف المقهى المنخفض ، تراءى وجهها في يأس شديد وقالت:

ـ اشعر بضيق .

ـ

ـ لماذا تضايقت هكذا فجأة ؟

ـ

ـ اود البكاء ، البكاء حقا .

ـ

ـ يجب ان اغادر هذا المكان ، الان ، أجل الان .

ونهضت فتبعتها صامتة .

اختلطنا بالمارة على الشارع ، بالحرارة التي تهديها شمس تموز ، بالضوضاء التي ترسلها السيارات ، سرنا بصمت الى ان قالت :

ـ لماذا شعرت بالضيق فجأة ؟

ـ

ـ تكلمي .

ـ

ـ اني ازعجك حقا ، تأتين في زيارة يومين فأنكد عليك بدل ان اجعلك تقضين وقتا ممتعا ..

ـ

ـ اني هكذا ، او بالاحرى لست هكذا ، فمن عادتي حين تزورني صديقات او معارف او اقرباء ان اجعل اوقاتهم في المدينة اوقاتا لطيفة طيبة ، ولكن ..

ـ

ـ كنت كلي رغبة في اسعاد وقت صديقة عزيزة قديمة ، ولكن.. سأوقف اول سيارة اجرة تمر بنا.. سأعود الى داري . اذا شئت تحمل هذه الساعة التي ستنقضي معي فسوف اعود الى جذلي وصخبي وتحمسي .. اكفر لك عن هذه الساعة .

ـ

ـ اهذي كالمجانين احيانا ، لقد تبدلت عن ايام عرفتني فيها ، تبدلت، الم تلحظي ؟

ـ

ـ لست ادري اين تكمن هذه السيارة ، كل السيارات التي تمر عامرة بالركاب .. لقد تبدلت .

ـ

ـ تغيرت طباعي ، الم تلحظي ؟

ـ اجد ان الكلام على الطريق ، وطريق كهذه فيه صعوبة .. اني متعودة على الهدوء ، فأنا وان لذت بالصمت فانما اصغي تمام الاصغاء ، صديقي .

ـ انك كمدينتك هناك ، كل هدوئها اراه في نظراتك وكلامك



بقلم الانسة رينه عبودي

واعمالك .. وربما هذا ما يبكيني .

ـ

ـ كل السيارات تمر عامرة بالركاب ، ولا واحدة ، ولا واحدة تنقلنا نحن .

ـ انت متعبة ؟

ـ لا ، متضايقة .

ـ تكلمي اذن .. قد يخفف ذلك عنك ، ما بالك ؟

ـ لا اعلم .

ـ بدا شيء من الضيق يجتاحني بدوري .

ـ هذا لاني كريهة ، كريهة حقا .

ـ لا ، انما اجدك .. اجدك فوضوية قليلا .

ـ كيف ؟



ـ تتسابقين مع تيارات مختلفة في آن واحد .

ـ لقد تبدلت .

ـ لا ، انما ..

ـ قولي .

ـ لا شيء .

ـ اني اخاف .

ـ ما يخيفك ؟

ـ لا شيء ، كنت احدث نفسي .

ـ

ـ لا ، لا اريد الهدوء ، هو هذا ، لا اريد ان افكر ، اختلطت تماما مع الضجيج والزحام وضوضاء عدم التفكير ، راحتي في الا ارتاح لافكر ، اني املأ اوقاتي ، املأ اوقاتي ، اتعرف على اشخاص واشخاص ، اتنزه معهم ، ازورهم ويأتون لزيارتي ، اقضي ساعات في اماكن التجميل ، ساعات في مطاعم ومقاهي وملاهي.. اتعب نفسي لامثل دورا يريدونه مني، ينتظرونه ، ولكني لم اعد افكر ، لم اعد افكر وهذه راحتي .

ـ

ـ لماذا مررت عند اقاربك حين عرفت بانك جئت ؟ لا ادري ، لقد كنا فيما مضى ونحن صغيرات نتفاهم معا ، اتذكري ؟ ولكن ذلك انقضى ، انقضى منذ تركت تلك المدينة الهادئة الى هذه ، ثرت على كل شيء ، على العالم هناك ، على الدور الذي كانت تفرضه علي بيئتي ، ثقافتي ، وكل ما هو انا ، ثرت .. ثرت لاني تألمت . . .

ـ

ـ البارحة كما اخبرتك كنت مع فتى هائم في حبي ، واول البارحة كنت العب ببرود مصير انسان ، انسان بعمر ابي ، في كل المجتمعات التي ادخلها اتألق ، او على الاقل هذا ما يخيل الي ، لقد اخبرتك بكل ذلك اذ كنا في المقهى منذ قليل ..

ـ

ـ كنت اطرح امامك بلا مبالاة ظاهرية نجاحي ، كنت كالطفل الذي ملأ راحتيه اصدافا فارغة من

نشوة الروح

نشوة الروح عامليني برفق — وارمقيني بنظرة من علاك
ان نفسي ما زال يلهبها الشو — ق حنينا لبسمة من سماك
اناذا العالم الصغير فمني — ببيان يوحي الي سناك
وامنحيني الهة العطف الها — ما ينير السبيل نحو خطاك
انا جزء كما ترين من الكل — وما الكل غير نور هداك

أتعبت نفسي الحياة وملت — من عذاب قد ضاع صبري لديه
حيثما سرت سار قربي هم — من هموم الحياة ابكي عليه
فنواح الضعيف ينقر سمعي — كلما قادني الشعور اليه
وعويل الفقير يلهب صدري — كلهيب الدموع في مقلتيه
فلو ان الفؤاد كان طعاما — لوضعت الفؤاد بين يديه

يا دموعي وانت خير عزاء — في اعتزالي ومحنتي ومصابي
انت انس الوجيع في ليلة — البؤس وعوني على الليالي الصعاب
فاملاي العين ما استطعت الى — ذاك سبيلا وخففي بي ما بي
كيف ندري كنه الحياة وما — فيها لهذا الوجود من أسباب
انا راض بما يقدره الله — لنفسي ان جاز فيه ثوابي

هكذا تنقضي الحياة وتمضي — بين مر الاسى وعذب التمني
ما سررت الغداة الا وليلا — راح جفني يترجم الحزن عني
والاماني ما بين جزر ومد — كوميض السراب تضحك مني
وصراع ما بين جسمي ونفسي — بت منه ادق سنا بسن
ضرب الوهم بالعقول فلا تد — ري احق عذابنا ام تجني

الارجنتين — **فائق جبور**

الشاطىء ، اصدافا كان مسرورا باقتنائها ، كنت اشتاق الى ان يصدق احدهم ، أحد قريب من نفسي ، من ماضي ، طرحت امامك على المائدة بلا مبالاة اصدافي ، فكانت نظرتك ، نظرة صافية ، نظرة المدينة الهادئة التي لا تنخدع ..

—

ــ كنت انتظر محمومة نظرة .. نظرة تحبيذ منك ولكنك كنت بسيطة معي بسيطة .

—

ــ اصدافي كانت كاذبة ، غير حقيقية ، انا نفسي لم اكن مؤمنة بها .. كنت اريد ايمانك انت لاصدقها ، لاستريح بها .. ولكن نظرتك لم تنخدع ، لم تنخدع .. تركت اصدافي على المائدة ، تركتها بعد ان فكرت ، اني اخاف التفكير ، أحب زحمة الطريق ، الناس التي تمر مسرعة ، غير حافلة ، وضوضاء السيارات ، والحرارة القاسية التي تلتهم ما تبقى من صفاء داخلي ، اود احيانا ان اطرق راسي على حجر هناك في مدينتي ، اطرق راسي اطرقه ، حتى يتمزق ، حتى تتفجر هذه الشرايين حتى اضيع انا ، الانا التي تعرفون ، انا التي اعرف ، لعلني اخلق من جديد ، من جديد كما اريد ، كما تريد رغباتي في الحياة ، رغبات الحياة في ان اكون .. لقد ضقت بالمستحيل بالمستحيل الذي يربطني دائما الى الانا التي لا اطيق..

—

ــ ها هي سيارة اجرة تمر .. عودي بها انت ، اما انا فطريقي بين هؤلاء اسير دائما معهم ولكن ... وحدي .

حلب — **رينه عبودي**

رأي للمناقشة

كان جميل اشعر من عمر وكثير

بقلم ابو طالب زيان

* * *

لم يصب شاعر غزلي الشهرة الذائعة في الحياة والممات ، اكثر ما اصاب جميل ابن معمر الذي اشتهر بحبه لبثينة ، وذهب مذهب الامثال في كل خبر او شعر ، تفوح منه رائحة العفة ، او لا يعرف فيه صاحبه .

وعلى الرغم من هذه الشهرة العريضة ، وتناقل الاخبار ، ومسرى الاحاديث الوالهة في البوادي والحواضر التي عمرت بهذا اللون الشعري المرتبط اوثق الارتباط في ذهن العربي ، لم يكن لجميل من الشعر سوى هذه المقطوعات المتناثرة التي تحمل اشجانه لبثينة ، او تلك التي يبث فيها لواعجه في قفار البوادي ، او هذه التي يدافع بها عن كرامة القبيلة ، او حرمة الجوار ، او صلات النسب التي جمعت بينه وبين بثينة .

والغريب ، اننا نجد هذه المنعة ، وتلك السيادة اكثر ما تكون واضحة ، في مواقف اهدار دمه جزاء التشبيب ، او خوف الافتضاح بين الاحياء العربية اللاغبة باكتناه هذه الاخبار ، او المعنية بالمناقلة لهذه السير التي يغلب عليها الطابع العربي الجميل .

ولعل ابلغ دليل على هذه المنعة ، ان جميلا كان يغشى دار بثينة ، ولا يجرؤ واحد من عشرتها ان يتصدى له ، او يكلم في امر جاء من اجله ، الا ما كان من هذا الرجاء الذي كان يحمل الى ابيه بالكف عن الزيارة ، او السير في احشاء القبيلة دون اكتراث ، او خوف من وقوع العقاب .

ولقد وصف جميل بثينة بانها : « حسناء بدوية لم يثقلها ترف الحاضرة ، ولم يعرقها شظف العيش ، فهي رشيقة معتدلة الخلق ، سامقة الخلق ، مستحبة الملامح لمن يراها ، مفتونا بها او غير مفتون » .

وقال عنها العقاد : « وصفها جميل بعين المحب ، ووصفها غيره كما يراها كل من رآها . فخلص لنا من جملة هذه الصفات : انها كانت ادماء طوالة ، كما قال عمر بن ابي ربيعة ، وانها تفرع النساء طولا ، كما قال الرجل الذي حمل اليها نعي جميل » .

على ان المؤرخين ، قد ذكروا خبرين لبدء هذا العشق العفيف ، فقيل انه كان يحب اختها ام الجسير ، وكان اول ما علق بثينة انه اقبل يوما بابله حتى اوردها واديا يقال له « بغيض » فاضطجع وارسل ابله مصعدة واهل بثينة بذنب الوادي ، فاقبلت بثينة وجارة لها تردان الماء ، فمرتا على فصال له بروك ، فنفرتهن بثينة ، وهي اذ ذاك جويرية صغيرة ، فسبها جميل فملح اليه سبابها واحبها ، واقلع عن النسيب باختها .

وقيل انه خرج في يوم عيد والنساء اذ ذاك يتزين ويبدون للرجال فوقف جميل على بثينة واختها في نساء من بني الاحب رهطها ، وهن بنات عم عبيد الله بن قطبة ، فراى منهن منظرا واعجبته ، وعشق بثينة وقعد معهن ، وكان معه فتيان من بني الاحب فعرفوا في نظره حب بثينة .

ولما اخبرت بثينة أن جميلا قد نسب بها حلفت بالله لا يأتيها على فلاء الا خرجت اليه ، ولا تتوارى منه ، فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث اليها ومع اخواتها ، حتى نمى الى رجالها انه يتحدث اليها اذا خلا منهم وكانوا اصلافا غيرا فرصدوه بجماعة من بضعة عشر رجلا وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف على بثينة وام الجسير وهما يتحدثانه وهو ينشدهما . فبينما هو على تلك الحال اذ وثب عليه القوم فرماهم بناقته فسبقت به .

على ان امر هذا الحب لم يكن بالغريب على قلب جميل، اذا عرفنا انه نشأ في عهد معاوية بن ابي سفيان ، واستظل بقية عمره بخلافة الامويين ، وتأثر ايما تأثر بسياسة هؤلاء الخلفاء الذين رأوا ان يتغلبوا على معارضة ابناء الاشراف من العرب باللين والحيلة، فأغدقوا عليهم الاموال الى جانب ما ورثوه عن آبائهم من غنائم الفتوح وحجزوهم في الحجاز ، ومنعوا عنهم الوظائف والاعمال ، فتوافر لهم الغنى والفراغ والشباب ، فأغرقوا في اللهو في الوقت الذي ازدهرت فيه الموسيقى وشاع الغناء والشعر والفكاهة ، وظهرت طبقة العشاق ، تعمل للهو والعبث في المدن ، وللعفة والصدق في البادية .

والواقع ان جميلا ، نشأ في وادي القرى شمالي المدينة على الطريق بينها وبين الشام ومصر . فهو من ابناء البادية ، ولكنها البادية القريبة من مراكز الحضارة العربية ، لذلك كان جميل يجمع ، على قلة بين اصحابه ، بين فطرة البدوي ونقائه ، وبين ظرف الحضري ورقته .

غير ان من المتفق عليه ، ان الحياة قد تأرجحت بجميل في اخريات ايامه ، بسبب اشتهاره بهذا التشبيب ، وسريان شعره بين الفتيات ، وتناقل الاخبار بدخوله بيت بثينة سرا بعد زواجها من نبيه بن الاسود الذي دفعته غيرته الى الهجاء حينا ، والشكوى الى السلطان الذي اهدر دم جميل ، لذلك لم يكن امام جميل الا الفرار الى اليمن ، والتدبير لرحلة صوب مصر ، والنزول في كنف اميرها عبد العزيز بن مروان .

وتصف عجوز توديعه بثينة فتقول « والله انا لعلى ماء

بالجناب وقد تنكبنا الجادة لجيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز ، وقد خرج رجالنا لسفر وخلفوا معنا احداثا ، فانحدروا ذات عشية الى حرم قريب منا يتحدثون الى جوار منهم ، فلم يبق غيري وغير بثينة ، اذ انحدر علينا منحدر من هضبة تلقاءنا ، فسلم ونحن متوحشون وجلون ، فتأملته ورددت السلام ، فاذا جميل : فقلت « اجميل » ؟ قال « أي والله . » واذا به لا يتماسك جوعا، فقمت الى قعب لنا فيه اقط مطحون ، والى عكة فيها سمن ورب . فعصرتها على الاقط ثم ادنيتها منه وقلت : « اصب من هذا » فأصاب منه . وقمت الى سقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا ، فشرب منه وتراجعت نفسه . فقلت له « لقد بلغت ولقيت شرا ، فما امرك ؟ » قال « انا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما ار يمها انتظر ان ارى فرجة . فلما رايت منحدر فتيانكم اتيتكم لاودعكم ، وانا عامد الى مصر » . فتحدثنا ساعة ثم ودعنا وشخص فلم تطل غيبته ان جاءنا نعيه » .

ويتضح من النظرة الى شعر جميل ، ان معظمه في الغزل ببثينة غير قليل في الهجاء والفخر ، بل يقتضينا الانصاف لهذا الشاعر ، ان نعد هذا الهجاء هجاء غزليا ، لان الغزل كان السبب فيه ، فقد غضب بعض رهط بثينة لغزله فيها فهجوه وهجوا اخته ، فاضطر الى الرد والمنازلة ، واظهار شاعريته في ضروب القوافي ، وان كان قد اضطر الى الهجاء للمفاضلة الادبية والفخر القبلي ، على ان الاعجاب بشعر جميل ، وتفوقه على صاحبيه عمر بن ابي ربيعة وكثير عزة ، لا يستعصى على الاثبات ، او يند عن التسجيل والملاحظة ، قال نصيب : « قدمت المدينة فسألت عن اعلم اهلها بالشعر . فقيل لي « الوليد بن سعيد بن ابي سنان الاسلمي » . فوجدته بشعب سلع مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن ازهر ، فانا لجلوس اذ طلع علينا رجل طويل بين المنكبين ، طوال ، يقود راحلة عليها بزة حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن ازهر « يا ابا جبير ، هذا جميل ، فادعه لعله ان ينشدنا . فصاح به عبد الرحمن « هيا جميل ! هيا جميل ! » فالتفت فقال « من هذا ؟ » فقال « انا عبد الرحمن بن ازهر » فقال « قد علمت انه لا يجترىء علي الا مثلك » . فأتاه فقال له : « انشدنا » فأنشدهم :

نحن منعنا يوم اول نساءنا ويوم افي والاسنة ترعف

ثم قال له : » انشدنا هزجا » . قال : « وما الهزج ؟ لعله هذا القصير ؟ » قال : « نعم » فانشده :

رسم دار وقفت في طلله كدت أقضي الغداة من جلله

فانشده اياها حتى فرغ منها ، ثم اقتاد راحلته موليا . فقال ابن الازهر : « هذا أشعر أهل الاسلام » . فقال ابن حسان « نعم والله واشعر أهل الجاهلية ، والله ما لاحد منهم مثل هجائه ولا نسيبه » . فقال عبد الرحمن بن الازهر : « صدقت » .

والعجيب ان كثير عزة ، يعترف له بالسبق ، ويقدمه على نفسه ، ويتخذه اماما . فقد كان اذا سئل عنه يقول : « وهل علم الله عز وجل ما تسمعون الا منه » او قال : « هل وطأ لنا النسيب الا جميل ! » . وقلما استنشد الا بدا بجميل وانشد له ثم انشد لنفسه .

وقال ابو الفرج الاصبهاني : « جميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية . كان راوية هدبة بن خشرم ، وكان هدبة شاعرا راوية للحطيئة ، وكان الحطيئة شاعرا راوية لزهير وابنه » . واذن فقد تخرج جميل في مدرسة شعرية عريقة التقاليد ، ترجع الى واحد من كبار شعراء الجاهلية ، بل واحد ذهب بعض النقاد الى انه اشعر شعراء الجاهلية ، وذهب الجميع الى انه احد ثلاثة هم اشعر اهل الجاهلية. غير ان جميلا رغم تمرسه في مدرسة زهير ، الا انه يختلف في كثير من خصائص شعره عن هذه المدرسة التي اطلق عليها : « مدرسة عبيد الشعر » .

اما عمر بن ابي ربيعة ، فكان الشاعر المقابل لجميل في كل شيء ، فهو يتنقل بين النساء يتغزل بهذه ثم تلك ، لا يريد منهن غير متعة ساعة ، وجميل المخلص لواحدة لا يعرف غيرها . وعلى الرغم من هذا التقابل اعجب جميل ببعض شعر عمر .

ولقد ذكر ابو الفرج ، ان عمر خرج يريد الشام ، فلما كان بالجناب لقيه جميل فقال له عمر : « انشدني » . فانشده :

خليلي فيما عشتما هل رايتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

ثم قال جميل : « انشدني يا ابا الخطاب » . فانشده :

الم تسال الاطلال والمتربعا ببطن حليات دوارس بلقعا

فصاح جميل ، وقال : «الا ان النسيب أخذ من هذا» .

والغريب ان التشابه في بعض الابيات والافكار كان عندهما على السواء ، وان كانا يتنازعان الشعر . فيقال : « ان عمر في الرائية والعينية أشعر من جميل ، وجميل اشعر في اللامية » .

وليس بعجيب ان يقال ، ان شعر جميل فطري المنزع ، يتسم بالبساطة والسذاجة ، ويتشح بحرارة العاطفة وصدقها ، ويتحلى بعذوبة العبارة وصفائها مع توافر التنغيم الموسيقي الذي اجبر المغنين على الافتتان به حتى ارتفع به تسعة وعشرون صوتا ، رن صداها في البادية ، وتجاوبت انغامها الحواضر في وقت شاعت فيه الالحان ، وكثر فيه المغنون ، ولكن لم يثبت امام هذا التيار الجارف غير هذه الاصوات التي جمعها ابو الفرج ، وكان من بينها ما قام به الشاعر الغزل : جميل بن معمر .

القاهرة — **ابو طالب زبان**

الصبي الجائع

الى اختي سارة

•

ناصر بو حيمد

•

دوسلدورف

طيف :

ايها الصبي الجائع
لا تأكل الغابه
ولا تبتلع البحيرات
انفض غبار السفر
والق عصا الترحال

الصبي الجائع :

ما للنجوم الساطعه
تمرغ اطرافها
في الطين
وتأكل بنهم الاعشاب
لقد مر زمن
وانا ابحث
عن خرافة موجودة
واكلت اطراف النجوم
وابتلعت معها الاعشاب
وما زلت اجد السير
وحين يفيق الليل
وتشرق العتمه
انتشر في بطون الاوديه
والتهم الغيوم الضاله
واصهل كمهر غريب
في الازقة الداكنة
وتتعثر في خيالي
ملائكة وشياطين
ويموت رب ويولد تنين
وازحم الحشود !
وابخل ولا اجود !
اتوارى في هوة نفسي
ابحث في التراب
عن سحاب
يبلل السماء
ويمنح القدر
بصر

عاد الى بيته يتلمس الدعة مع زوجه واطفاله بعد نهار سلخه في العمل الراهق . واستقبلته الخادم متهللة القسمات ، ضاحكة العينين ، وسألها بلهفة : اين سيدتك والاولاد ؟

— خرجوا .

— الى اين ؟

— لن يعودوا .

— ماذا تقولين ؟

— هكذا قالت الست .

وشعر بطنين في رأسه ، وزاغت عيناه ، وصرخ : الى ايـن ذهبوا ؟ وما السبب ؟

— ذهبت الست الى بيت اهلها .

— لِمَ لم تخبرني عن هذه الزيارة المفاجئة ؟

ولعبت على ثغر الخادم ابتسامة ذات معنى، وطوقته بذراعيها، وقبلته بحرارة ، وقالت بلهجة مرحة : الحمد لله .. لقد تخلصت منها .

ودفعها يوسف بعنـف ، وصاح : ماذا تقولين ؟

— يجب ان تشكرني لانني خلصتك منها .

واشتد به الانفعال، واختلطت عليه الامور وهتف : ماذا تعنين ؟

— صارحتها بحبنا .

واحس بالنيران تزكو بين جنباته ، واصطك جسـده ، وامسـك بها ، وهزها بعنف ، وصرخ : ماذا فعلت يا مجرمة ؟

— كل خير .

ماذا قلت لها ؟

— لماذا يا سيدي تكتم حبنا ؟ الم تقسم لي انك تحبني اكثر منها ؟ الم تقل لي لولا انك متزوج لتزوجتني ؟

وسكتت . وحدقت فيه ، وراعتها هذه الصفرة التي تمشت في وجهه. واردفت قائلة: يجب ان تكون سعيدا لانني انقذتك منها .

وجذبها اليـه بقسوة ، وضربهـا بعنف ، وزعق : يا مجرمة .

— لست مجرمة .

— افعى ..

— لانني ساعدتك على الخلاص منها.

— ماذا قلت لها ؟

— قلت لها انك تحبني اكثر منها.

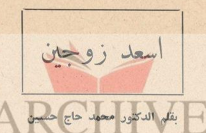
— لماذا يا كلبة ؟

— في هذا الصباح جرت مشادة بيني وبينها ، فصارحتها بكل شيء ، وقلت لها انك لا تحبها ، وانك تفضلني مئة مرة عليها .. وعندما تنام تغادر فراشها لتوافيني ..

وفقد الرجل وعيه ، وتجسمت له المأساة ، ولجه حقد كريه على هـذه الخادم التي خربت بيته ، فاندفـع اليها ، وطرحها ارضا ، وطفق يرفسها برجله ، وهي تبكي ..

وصرخ : سأذبحك .

واستطاعـت ان تتخلص منـه ،



بقلم الدكتور محمد حاج حسين

وشذرته بنظرة اضطرمت فيها النار. وصرخ : سأقتلك يا مجرمة .

— انت المجرم لانك غررت بي .

— اخرجي مطرودة .

— ولماذا يـا سيـدي اخـرج مطرودة ؟ انسيت كلماتك الحلوة لي ؟

— اخرسي .

— لن اخرس .

— حقيرة ..

— الست اجمـل منهـا ؟ طلقها وتزوجني .

وهجم عليها، واوسعها ركلا وضربا برجله ويده فـي كل مكـان مـن جسدها .. وجرهـا الـى البـاب ، والقاها خارجـا ، وهـو يصيـح :



سأذبحك اذا عدت الى هذا البيت .

وهرع الى حجرتها ، والقى اليهـا بثيابها ، وصفق البـاب خلفهـا . وتهالك على اقرب مقعد ، وغـرق في بكاء شديد .

وثاب اليه عقله بعد قليل، فتمثلت امامه الجريمة التي اقترفها فـي حق زوجه ، فازبـأر شعـر راسه ، واحتقر نفسـه ، ولعن تلك السـاعـة التي دب فيها الى هـذه الخادم .. كان يرى انه من حقه ان يتمتع بهذا الجسد الذي يتفجر انوثة .. وكـل هذا على هامش حياته الزوجية .. ولكن ان تصل الامور الى هذا الحد.. هذا ما لا يستطيع ان يتصوره ... ما ذنب امراته ، وأم اطفالـه التـي تترقرق وداعة وطيبة ان يفجعها بهذه الكارثة ، ويمتهن كرامتها ، ويعمـل على اذلالها ؟ واحس باحتقار شديد لنفسه .. ورأى أن هـذا العذاب الذي حاق به قصاص من الله تعالى لطيشه وتهوره .. ولم يدر ماذا يفعل ؟ انه لا يستطيع ان يرى بيتـه بنهار لاجل هذا الحدث التافه الذي عبر به ..

وخامره الحنـين الـى زوجه ، وفلذات كبده ، ووجد نفسه بحركة لاشعورية يتجه الى بيت اسرة زوجه.

وجلس مع حماته ، ولمـح عـلى وجهها المربد بوادر العاصفة ، وبعـد هنيهات دخل اطفاله الاربعة يتواثبون في مرح وبراءة، وتراموا بين ذراعيه، وتعلقوا بعنقه ، وغمروه بقبلهم .. وبددوا بثرثرتهـم الشاديـة كـل اوصابه .. وخيل اليه لوهلة قصيرة انه يعيش في جـو السـعـادة التـي اعتادها في بيته .. ورده الى الواقع المرير صوت حماته تطلب الى احفادها ان يذهبوا الـى امهـم ، فانطلقوا مسرعين ، وهم يشيرون الى والدهم بأيديهم في حركات رشيقة محببة..

وقال يوسف: اريد ان ارى منيرة.

— لا تريد ان تراك .

— ارجوك يا اماه.. ان تساعديني على انقاذ بيتي ..

عودة الشرود

مهداة الى « شرود » البير اديب

•

سامحق الكون
عندما ازول !

اطفىء القمر والنجوم
ومعي الشمس تموت وتزول !

تخشع الجبال المرتفعه ،
تنحني القمم المستعليه
والوديان ... كالاحلام تذوب ،
في قنن الجبال تمحي وتغيب !

والنسيم كهفات المحبة يجوب
في زوايا الكون ،
في تيه شرود !

تصمت البلابل ،
لا بوم ... ولا نعيب !

والدموع تسيل
قطرات قطرات
من قلوب !

عندما ازول
ارجع للكون واعود
اخشى عليه ... ان يزول !

ستؤاخي الذئاب الخراف ،
والافاعي في حضن آدم وحواء تنام،
من سمها ... ساشرب انا واشرب،
والكون معي يشرب ويطرب !

ستحول الافاعي في العيون
الى انسان !

حواء تصير لي فكرا ،
آدم يكون لي قلبا !

في جنة من قلبي وفكري
ينعمان !

وعلى ضوء من شموع عيني ،
في فؤادي يمرحان !

وددت لو تشرق الشمس في مغربي،
لو انها لا تغرب في مشرقي ،
لو انني
غير الحقيقة اقول
كي لا امحق الكون
عندما ارحل وازول !

حلب توفيق اليازجي

— انا اعرف كل شيء ..
— أعترف لك بأنني مجرم .
— منيرة مصرة على الطلاق .
— اماه .. ارحميني .
— ماذا افعل .. بعد ان احتقرتها الى هذا الحد ؟

— صحيح انني استحق الموت.. ولكنني استجدي الرحمة .

— كيف تسول لك نفسك ان تخونها مع خادم قذرة ؟

— اتوسل اليك .. لا تعيدي على مسمعي هذه المأساة .. انني مجرم ، واستحق الموت .. ولكنني اضرع اليك ان تنقذي حياتي رحمة بالاولاد .. فانا لا استطيع ان اتصور كارثة الطلاق .. ان معناها بالنسبة لي الموت .

— ان ابنتي لا يمكن ان تعيش مع هذه الخادم اللعينة .

— طردتها .. طردتها .
— تعال معي .

ووجد نفسه وجها لوجه امام زوجه ، ورعش جسده ، وفر لونه ، واسعفه البكاء ، وحاول ان يرتمي على قدميها ، بيد انها اشاحت بوجهها عنه ، واكفهرت سحنتها ، واعتصمت بصمت مرير ، وتوسل اليها ان تغفر له خطيئته .

وقالت الام : أؤكد لك يا منيرة انه لن يعود اليها . والمسامح كريم .

وارتفع صوته حزينا : اقسم لك يا منيرة بحياتك وحياة اولادنا الاربعة بأنني ساكون اطهر انسان في هذه الدنيا .

واجهشت منيرة ببكاء مرير ، وقالت : اريد الطلاق .

— حرام عليك ان تحكمي عليّ بالموت .
— ولكنك فعلا اذقتني الموت .
— انني معترف باثمي ، ومستعد للتكفير .
— دعني وشاني .
— ارحميني يا منيرة .
— ولكنك لم ترحمني .

— اتوسل اليك ان تسامحيني ..
— كلا ..
— انني على استعداد لكل ترضية .
— ترضيتي الوحيدة هي الطلاق .
— يستحيل ان اطلقك ..
— بل ستفعل مرغما .
— الموت خير لي من هذا الطلاق ..

وفي هذه اللحظة سمعت جلبة الاطفال في الصالون ، وارتفع صوت جدهم يداعبهم ويلاعبهم ويقول لهم : اين ماما وبابا ؟

— هنا .

واسرعت الام تقول : اضحكي يا منيرة .. وانت يا يوسف امسح دموعك .. ان اباكما قاس لا يرحم .. اذا سمع بهذه الفضيحة .. لا تكدراه .. وتأكدي يا منيرة انك ستحملين اباك آلاما لا طاقة له بها .. وقد يصر على الطلاق .. لا تخربي بيتك .. ثم انها خطيئة يمكن اصلاحها .. ويوسف طلب الغفران .. واذا بدرت منه اية هفوة مرة ثانية ، فالطلاق امامك ..

وصاح يوسف : لن تحدث مني اية هفوة ..

ودخل الاب ، واستقبلته منيرة ضاحكة الاسارير ، وطبع على وجهها قبلة ، وتشبثت به كأنها تستعين به على هذه المصيبة الجائحة التي اذلتها .. ولكنه دفعها بلطف عنه ، وهو يقول : دعيني اسلم على يوسف.

وعانقه ، وهو يقول : لولا مجيئكما هذا المساء .. لكنت في صباح الغد عندكم . انني مشتاق كثيرا للاطفال. وجلس ، واحتضن اصغر الاطفال ، وغمره بقبلة ، ثم هتف : سأحتجز يا منيرة سامية عندنا في البيت . ما رايك ؟ ..

— الذي تراه يا بابا ..
— وانت يا يوسف ؟ ..
— انت يا بابا تفعل بنا ما تشاء .
— شكرا لكما يا أسعد زوجين .

طرطوس محمد حاج حسين



محمد رجب البيومي

حافظ ابراهيم امير الدعابة

بقلم محمد رجب البيومي

***

يروقك جدا ان تقرأ للاستاذ عبد العزيز البشري عن صديقه حافظ ابراهيم كما يمتعك ان تسمع حافظا يروي نكات البشري ، او يداعبه ببعض الافاكيه فقد ألفت بين الصديقين الكبيرين مشابه اصيلة في خفة الروح وعذوبة الحديث ودقة الملاحظة وقوة الاحتمال، حتى تعوّد الناس ان يتلقفوا عنهما كل نادر رائع من الملح والطرائف ، ومضى صيتهما البعيد في مضمار الفاكهة يواكب صيتهما الجهير في مضمار الادب ، وقد تسير بهما الروح الرياضية الى ابعد اشواطها ، فترى كل صديق منهما يجلس لصاحبه بمرصد من التندر فهو يعاتبه ويغاضبه ويقطع عليه تيار القول بلاذع من الفكاهة او ساخر من التندر فلا يؤثر ذلك قليلا او كثيرا في دعائم الود المتأصلة او يهى من وشائج الحب المتعانقة . . .

بل كثيرا ما تنتقل هذه المعاتبة من مجالس السمر ، الى منابر الصحافة ، فيكتب البشري عن حافظ ما يضايقه ويكيده اذ يفضل بعض زملائه من الشعراء عليه ثم يلقاه ليتبادلا النكات المرحة دون غضب او اضطغان ، وحين افرد البشري له فصلا في مرآته الذائعة ، لم يفته ان يتعرض لوصفه بلون ساخر من الوان الفكاهة العابثة فانبرى يقول عن صفيه الاثير وخليله الحميم :

« جهم الصوت جهم الخلق جهم الجسم كأنما قد قدّ من صخرة من فلاة موحشة ثم فكر في آخر ساعة ان يكون انسانا فكان والسلام ، أما ما يدعى فمه فكأنما شق بعد الخلق شقا ، واما عيناه فكأنما دقتا بمسمارين دقا ، واما لون بشرته والعياذ بالله فكأنما عهد به الى نقاش مبتدىء تشابهت عليه الاصباغ والالوان فداف اصفرها في اخضرها في ابيضها في بنفسجها ، فخرج مزيجا من هذا كله لا يرتبط من واحد بسبب ولا يتصل بنسب ، وانك لو نضوت عنه ثيابه ، والبسته دراعة من دونها سراويل ، وافرغت عليه من فوقها جبة ضافية ، وتوجته بعمامة عظيمة متخالفة الطيات لخلته من فورك دهقانا من دهاقين الفرس الاقدمين ، فاذا جردته كله واطلقته في البر حسبته فيلا ، او ارسلته في البحر ظننته درفيلا » !!

بهذه الفكاهة المصورة يتحدث الاديب الكبير عن صديقه الشاعر المرموق ثم يلقاه ليستأنفا الوثوب الشفوي بعد ان فرغ البشري من هجومه التحريري !! والقارىء والسامع كلاهما غانم مستفيد ! كان الاستاذ البشري كثير الحلف في مجالسه واحاديثه ، فهو لا يكاد يروي خبرا او يذكر حادثة دون ان يشفعها عفوا وبدون قصد بكلمة والله !! وقد لحظ ذلك صديقه حافظ فانتهز تكرار الحلف من صاحبه بمجلس حافل وروى هذه النادرة :

كان البشري ينظر في احدى القضايا الشرعية — ايام كان قاضيا بالمحاكم — وكان الشهود يتقدمون بين يدي المحكمة شاهدا شاهدا فيدلي كل منهم في القضية بشهادته بعد ان يدلي باليمين ، ثم اتفق ان كررت المحكمة على احد الشهود ان يؤدي القسم فلم يبادر ، فاذا بالشيخ البشري يترك مجلس القضاء ويقف مكان الشاهد ليقول سأحلف انا بالله نيابة عنه » !!

ويفاجأ البشري بدعابة صاحبه ليضحك مع المعجبين ثم يحاذر ان يقارف القسم مجاهدا ولكن هيهات ، فكل امرىء وما تعود !

على انه كثيرا ما انتقم لنفسه من صاحبه فسخر منه بقاذفة لاذعة . وكال له الصاع صاعين فقد زارا حديقة الحيوان ذات يوم معا . وبعد انتهاء مطافهما الطويل دلفا الى الباب ، فقال حافظ للبشري امام الحاضرين حاسب يا اخي احسن البواب يحوشك عند الباب : فرد البشري في براعة ساخرة « لكن ما فيش خوف عليك فيه منك هنا كثير !! » وقد ضحك حافظ لبراعة الرد ضحكة عالية اوقفته عن السير لحظات !!

وقد اجاد الاستاذ البشري حين تحدث في مرآته عن فكاهة حافظ فقال « خفيف الظل ، عذب الروح ، حاضر البديهة رائع النكتة بديع المحاضرة ، اذ كتب لك يوما ان تشهد مجلسه اخذك عن نفسك حتى ليخيل اليك انك في

بستان تعطفت جداوله ، وهتفت على اغصانه بلابله واشرق نرجسه وتألق ورده ، وتنفس فيم النسيم بسحر هاروت، فاعجب لمن ينشره هذا النسيم كيف يموت » !!

هذه المجالس التي تحدث عنها الاستاذ البشري كانت مبعث السرور ، وميدان الانس والمتعة لدى من اسعدهم الحظ بمصاحبة الشاعر الكبير اذ كان يفسح المجال للابتسام والمرح ما استطاع ، معتمدا على روحه المراح ، وطبعه المؤنس ، ولعل شهرة حافظ في الشعر ترجع في اوثق اسبابها الى مجالس صفوه ، وامسيات مرحه ، فشاعر النيل بين قرنائه الافذاذ كان محدود الثقافة ، ضيق الخيال ، عزوفا عن مطالعة العلوم المثمرة الا ما كان من انكباب على نوع خاص من كتب الادب العربي ودواوين الشعر وصحف النوادر والطرف ، وشاعر يعيش بعقله في هذا النطاق المتواضع يحتاج الى سلم مرتفع يصعد عليه ليتوسط سلسلة رائعة من الافذاذ تضم امثال شوقي ومطران وشكري والزهاوي والعقاد وغيرهم من شعراء الثقافة المتفرعة ، والتبحر العميق . ولكن مجالس الفكاهة الضاحكة قد اختصرت الطريق امام الرجل الى دنيا الشهرة والاقبال ، ولك ان توازن في مجال المقارنة بين حافظ ابراهيم واحمد محرم مثلا ، لتعرف كيف ساعدت صلات حافظ على ذيوعه واشتهاره بينما قبع محرم الشاعر العظيم في دمنهور منطويا على نفسه فلم ينل حظوة حافظ ونباهته مع ان محرما رحمه الله كان ارصن ديباجة واصفى طبعا ، واغزر انتاجا من صاحبه ، ولكن شاعر النيل سمير القاهرة ونديم العلية من الكبراء والعظماء ، فطار شعره طيرانا ومشت قصائد اخيه هونا . والدنيا حظوظ واقسام !!

ومن حظ الشاعر السعيد ان اكثر الناس لاوائل عهده كانوا يظنون الشعراء مصادر النكات والغمزات ، ومنابع النوادر والافاكيه لان الجيل المتقدم من شعراء القرن الماضي كان وافر الحظ في هذه الناحية ، فكان الليثي وابو النصر وعبد الله النديم ندماء ظرفاء يجيدون السمر والتندر قبل ان يجيدوا القوافي والاوزان ، فاقتفى حفني ناصف وامام العبد وحافظ ابراهيم آثار اسلافهم ، واولعوا بالفكاهة والتظرف حتى صاروا انس المجالس وبهجة الزمان !! واذا كانوا في مجالسهم الشعري قد تقدموا بالادب خطوة ، فقد تقدموا في مجال الفكاهة خطوات !!

اكب حافظ رحمه الله على ذخائر الادب العربي فحفظ كنوزها ، وتصيد لآلئها من كتب الملح والنوادر القديمة ، ورزقه الله حسا مرهفا وذوقا رفيعا ، فامتزج محفوظه بمبتكره ، وفاض على لسانه رحيقا مستطابا وكانت الحياة لعهده هادئة فارغة لم تحفل بشواغل الحضارة ، من مسارح وملاه ومنتديات واذاعات ، بل ان سراة النيل في مبدأ هذا القرن كانوا يترفعون عن ارتياد هذه الاماكن ، فاتسعت اوقات فراغهم ، واخذوا يتطلبون السمير المؤنس، والنديم الفكه ، والمحدث اللبق . وحافظ أجدر الناس بهذه الاوصاف فتكالبوا على مجلسه ، وتدافعوا الى محضره ، وقد شعر حافظ بمكانته المدللة، فباهى بمواهبه، واعتبرها ذخيرة مرغوبة ، يتحدث عنها الى سعد زغلول فيقول :

قل للرئيس أدام الله دولته ... بان شاعره بالباب ينتظر
ان شاء حدثه ، او شاء أطربه ... بكل نادرة تجلى بها الفكر

ومعلوم ان لكل مقام مقالا فما يستطاب من النادرة في وقت يستهجن في وقت اخر ، وحافظ خير من يعرف ذلك ويقدره ، فقد تجيش الدعابة في صدره فيختزنها اختزانا ، ويدخر لها الفرصة السانحة حتى اذا تهيأ وقتها المناسب عطر بها مجلسه فهزت مشاعر سامعيه وتناقلها الجمهور فقد بلغ حافظا — على سبيل المثال — ان امام العبد يدعي استاذيته ويقول : لقد خلقت حافظا وشوقيا ، فلم يجابه صاحبه بشيء وانتظر حتى جاء امام يقترض بعض نقوده ، فقال له في عبث ساخر ، انا كما خلقتني يا مولاي ، وتضايق امام وازبد ، ولكن حافظا قد الجمه ورد دعواه في هدوء واستخفاف !!

على انه — في ميدان تندره — يجعل من الاشتقاق اللفظي تكأة للفكاهة الهادفة ، فتأتي على لسانه محكمة بارعة تبلغ مبلغها القوي من النفوس فنحن نعلم ان امين الرافعي رحمه الله قد سخر قلمه ربع قرن في المطالبة بجلاء الانجليز ! وصادف ان اتفق مع حافظ على التنزه في وقت معين ولكن امينا يخلف وعده معتذرا بانه اخذ شربة ملح انجليزي فلم تمش معه!! وهنا يفجؤه شاعر النيل صائحا ، يا امين بك الانجليز لا يمشون من اي مكان !! ولا يتمالك سامعه نفسه فيصفق في اعجاب !! وطبيعي ان يفهم حافظ قوانين النكات فينتظر الدفاع ممن يهاجمه بفكاهته ، بل انه كثيرا ما يقبل هجوم غيره ببشر وايناس ، وهذه روح رياضية حميدة تجبر صاحبها على الاشتواء بنار اوقدها لغيره فتطاير شررها اليه .

شاهد مرة شابا وسيما يسير مع رفيق دميم فقال من نوره للدميم « ابوك السبب مدفعش مهر » فرد عليه الدميم « وابوك دفع كام ؟ » فضحك الشاعر ضحكا عاليا اذ ادرك ما بينه وبين صاحبه من اتفاق !!

ومن طرائف الشاعر انه كان يفاجيء اصدقاءه بما لا يتوقعون ، فهو يبدؤهم بحديث جدي ينبيء عن الاهتمام البالغ ، حتى ليظن سامعه انه بصدد نبأ هام يتطلب الاسراع ، ثم يستمع فلا يجد غير فكاهة تأخذ طابع الجد ثم لا تقف عند كلمتين او ثلاث بل تمتد في معرض حديث متصل ، وفي كل جملة منه بادرة لاذعة او دعابة ناقدة ، والغريب ان الشاعر لا يظهر من الخفة والابتسام حينئذ ما يوحي بتندره بل يسترسل ويسترسل ليترك صاحبه متحرقا ينتظر النهاية بفارغ الصبر حتى تحين .

وتطبيقا لما ذكرناه ننقل هنا عن الاستاذ عبد الرحمن

صدقي ـ احدى هذه الطرائف المسلسلة التي برع حافظ في سياقها واحكامها براعة لا تتفق لكثير من الناس ، وهي باطرادها المتماسك وترتيبها المنسجم تغني عن التعليق ، قال الاستاذ صدقي :

« كنت وصديق لي منحدرين في شارع محمد علي فلما صرنا في تجاه مقهى دار الكتب وكان يعرف وقتئذ بالقهوة العثمانية ، اندفع صديقي ودفعني معه ، فاذا بنا نواجه شاعر النيل حافظ ابراهيم واقفا على اهبة الانصراف من المقهى . فحيّاه الصديق ثم قدمني ، ولكن حافظ لم يمهله فقال لقد ذكرتك الليلة البارحة ، وهذا انت ، فتهلل الصديق معقبا على الفور كالعادة « خير ان شاء الله خير » قال حافظ « كنت اقرا الليلة البارحة في رسالة الغفران ما جاء في صفة جهنم فذكرتك » .. فسأل صاحبي : وماذا يجعلك تذكرني في هذا الوضع بالذات ؟!! فظهر الجد على وجه حافظ وفي نبرة صوته ! ثم قال « هو الحق أقول لك ، لقد اعياني تصور زبانية الجحيم كالعماليق ، ايديهم مقامع من حديد يتأهبون هذه الاهبة المهولة ، وينكفون هذا الوقود العظيم ، لتعذيب من كان مثلك في صغر الحجم وقصر القامة وخفة الوزن » فأجاب الرجل « الا تكف عن هزلك يا حافظ ؟ الا تكف عن هزلك»؟ قال حافظ « ما انا بهازل في هذه المرة يا بني ، انا مشفق عليك ، ولو كان امرك يومئذ يوكل الي ، لكان حسبك في جهنم موقد من مواقد الكحول الصغيرة « اسبرتو » تتقلب من ذبالته على نار لينة يسيرة ، وقبل ان يراجعه زميلي بكلمة اشار حافظ الي وسأله : « اترى زميلك من اصدقاء العقاد ؟ » وما كاد يسمع الرد بالايجاب ، حتى التفت الي قائلا ما أظنك الا كنت اكثر شبابا قبل ان تعرفه ، ان العقاد يعقد على الناس الحياة ، انه لا يدع شيئا على حاله في الشعر وفي مقاييس النقد وفي منازع الفكر وفي سائر الامور . نصيحتي اليك ان تنجو بحياتك منه » .

ونحن الان نجد في النكات العالمية تهكما لاذعا ، ونقدا مريرا اذ ان الفكاهة الحاضرة مع سهولتها ولطف موقعها تقوم بنصيبها الوافر في النقد والتوجيه ، وكذلك كانت النكات العربية القديمة ولم تتخلف عنها نكات حافظ ، وقد حملت في طياتها من النقد ما هذب الطبائع ، ورقق الاذواق ، بل ان الشاعر كان يفهم ان النكتة في حقيقتها صورة كاريكاتيرية ساخرة ، فكما يلاحظ الرسام انحرافا دقيقا في خلق الانسان او تكوينه فيظهره للناس مجوفا مكبرا فكذلك يهدف السمير المرح الى الغميزة المستترة فيبرزها في دعابة ساخرة ، بل ان الفكاهي يملك من الخيال والتوليد والاسترسال ما لا يملكه المصور ، واقرا ان شئت قول حافظ في انسان ضخم الجثة عظيم البطن .

عطلت سير الكهرباء فلم تجد شيئا يعوق مسيرها الاكا
تسري على وجه البسيطة لحظة فتجوبها وتحار في احشاكا

اقرا هذين البيتين لترى من الدعابة والسخرية ما يعجب ويروق ولعل مما يدهش القارىء ان يكون الشاعر قد ارتجل البيتين ارتجالا مما يؤكد اصالة الفكاهة لديه وقوة النادرة عنده ، اذ قهرت في مدة وجيزة ما يتطلبه الشعر من اوزان وقيود .

والذي يدرس شعر حافظ ثم يستمع الى نوادره وفكاهته يلاحظ بعدا كبيرا بين الفنين وهما فرعا دوحة واحدة فشعر حافظ الا ما ندر منه يمتاز بالوقار والرصانة فقل ان تعثر فيه على الانبساط والتندر ، وكان المتوقع ان تغمر الفكاهة نواحيه فيظهر في لون ضاحك رفاف ، ولعل مرد ذلك ان حافظا تتلمذ في ميدان الشعر على اساتذة البارودي من ائمة العصر العباسي . وهؤلاء يؤثرون الرصانة والقوة والجرس ، ويدخرون التندر والمرح الى المجالس والمجتمعات ، ولو ان حافظا تتلمذ على الشعراء المصريين كالبهاء زهير ومن اتى بعده لظهر الطابع الفكه في شعره ولكن الحملة القوية التي وجهت الى اصحاب البديع المتكلف باعدت بين حافظ وهؤلاء مع ان الفكاهة الاصيلة تكمن احيانا في طباق مستملح او جناس عذب ، او تورية لطيفة ، مما لا ينكره ناقد ذواق ، وما ضرّ البديع غير قوم تكلفوه عن تعسف وجدب وامحال ، فجاءت اشعارهم اسنة كدرة كريهة المذاق ، وقد لاحظت ان جل ما قاله حافظ في صديقه حفني ناصف يفيض بالمرح والدعابة على غير عادة الرجل في شعره ، وأؤكد ان روح حفني ناصف قد سيطرت على حافظ فساقتها هذا المساق البارع الفاتن !!

واقرا قصيدة حافظ في تكريم حفني لترى من فنون الدعابة ونوادر الفكاهة ما ينعشك ويبهجك حتى لتعجب كثيرا لشاعر يملك هذه الروح الطائرة ثم يقبع بها في حيز خاص فلا يسمح بانطلاقها في معارج الهامه الا بقدر ضئيل، بل ان حافظا حين رثى باحثة البادية كريمة حفني ناصف لم تشغله اللوعة الصادقة عن التندر المطبوع ، فاندفع يقول في رثائه :

وتركت شيخك لا يعي هل غاب زيد او حضر

فهل ظن صديقه المتاع ينبسط لهذه الدعابة في يوم كدر مدلهم تتأجج فيه الاشجان ، وبخاصة اذا كانت وفاة نابغة كباحثة البادية قد اصعقت والدها ودمرته حتى اصيب بالشلل الجزئي وحمل الى حفلة الرثاء في محفة لعدم قدرته على السير .

ومما يدخل في هذا الباب ما يروى ان شاعر النيل قد وقف يلقي رثاءه لثروت باشا (١) في حفلة التأبين ، وكان الجمع حاشدا والشعراء مجتمعين لذلك اليوم ، وفيهم شاعر البادية المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب ، وكان من عادة الشيخ ان يحضر الى الاحتفالات راكبا حماره ، فلما وصل حافظ في قصيدته الى احد المقاطع القوية ، سأله الحاضرون الاعادة ، وصادف ان نهق حمار الشيخ في

(١) هكذا ذكر الراوي ، واظنها حفلة تأبين اسماعيل صبري كما سمعت من غير واحد ..

بعد الموت

●

النادبون على قبري شهدتهم
الراقدون على الاقدار فاتهم
.. اني ارتويت بعيدا عن مشاربهم،
الراجفون على نضوي وما علموا

بعد الممات ، بعوضا يستبيح دمي
اني ارتفعت بعيدا . . ضمني عدمي
اني عصرت شراب الله من المي
ان الحياة حياني والنزيف دمي

كم طوفت في بحار الشعر اشرعتي
كم الهبت في ربيع الزهر اغنيتي
واستنبت في مثاوي الحب مورقة
واستنهضت همة الاقمار، وارتعشت

كم جررت كلماتي الفجر في ظلم
شوق الربيع وشوق الزهر للديم
ترتاح في ذروة الدنيا .. بلا قمم
في مرقص الشمس رغم الوهج والضرم

عمري استفقت وقد نامت مواكبهم
الذارفون على قبري دموعهم
يستوقدون شموع الخوف يجرحهم
يستعطفون اكف الغيث فاتهم

حتى استفاقوا ولم أتعب ولم أنم
كم اهرقوا الدمع في عيني بلا ندم
اني قضيت بميلاد الربيع .. ظمي
اني عصرت شراب الله من المي

بغداد

عبد الامير الموسوي

الخارج ، فقال لهم حافظ : انتظروا حتى يفرغ حمار الزميل من انشاده فانقلبت حفلة التأبين الى ضحك وضجيج.

هذه نادرة لطيفة ساقها الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف في مقال جميل نشره بجريدة المصري عن حافظ ابراهيم منذ عشر سنوات ، والاستاذ فهمي خير من يتحدث بلباقة عن حافظ ومعاصريه ، وقد ذكر مع هذه الطرفة الرائعة طرفا اخرى لحافظ نذكر من بينها ما قال الاستاذ :

« كان حافظ رحمة الله عليه لا يحتمل العيش الا في جو من المرح ، ولهذا كان يبتدع النكتة ابتداعا ، ويخترع لها المناسبة اختراعا ، كان في مرة يسير في الطريق العام بالليل فرأى ذلك المصباح الذي تضعه مصلحة التنظيم في مواضع الخطر ، وهو لا يرسل الا ضوءا احمر ضئيلا ، فتعمد حافظ ان يدوس على المصباح ، فصاح فيه العسكري هو انت اعمى تدوس على الفانوس ، فقال حافظ ساخرا : امثال تحطوا الفانوس في الضلمه ليه !!

والتقى به مرة في الطريق احد السائلين ، فسأله ان يعطيه قرشا ، فرد حافظ : والله عمرك اطول من عمري ، كنت حاقولك كده !!

وكان في مرة يهم بركوب الترام فداس عفوا على قدم احد الراكبين ، فثار في وجه حافظ ثورة عنيفة ، واخذ حافظ يترضاه ويعتذر اليه ، ولكن على غير جدوى ، فقد اندفع صاحبنا في ثورته ، يقول لحافظ : انت تعرف انا مين وابن مين ؟ وهنا لم يطق حافظ صبرا ، فالتفت اليه وقال : يا اخي نحن في شهر يوليه ، وفي وقت الظهر ، والحر اشد ما يكون ! وانت تركب مع عامة الناس ، في الدرجة الثالثة وبعد هذا تبقى مين وابن مين » فبهت الرجل وانسل من بين الحاضرين .

وبعد ، فلقد شغلت في صباي البعيد بجمع نوادر حافظ ، وكان يقاسمني هذا الشغف صديقي ورفيق صباي الاستاذ محرز احمد خفاجي اذ جمع في ذاكرته النادر الطريف في هذا المجال ، واني لانتهز هذه الفرصة السانحة فأهدي له هذا المقال المتواضع تذكارا لماض سعيد.

الفيوم — ج٠ع٠م٠ **محمد رجب البيومي**

علـم النفس الحـديث

يقودنا الى أعجب ما في ذواتنا

بقلم عبد العزيز جادو

***



هذا العصر العجيب ، عصر الذرة والصواريخ ، عصر السرعة الفائقة والتقدم السريع في غزو الاشياء المادية والقوى الطبيعية ، سمعنا ايضا عن كثير من الاكتشافات والفتوحات في المجال العقلي .

لقد اخذنا عن معلمينا ان في العقل البشري منطقة للحكمة والقوة مذهلة للغاية ، لا تستعمل الا في النادر القليل ، وهي مع ذلك يمكن ان يستغلها ويستخدمها اي شخص متوسط الذكاء . وتعلمنا علاوة على ذلك ان الفرد الذي يستطيع استخلاص هذه الحكمة وهذه القوة يحظى بالفوز والنجاح في حياته اسرع ممن لا يستطيعون ذلك . وبالتالي يغدو الشخص الذي يريد ان يكونه ، ويحصل على ما يشتهي ، وينال كل ما يبتغي .

وهذا التعليم الذي تلقيناه اما ان يكون حقا وصدقا ، واما ان يكون زيفا وكذبا ، اما ان يكون علما بمعنى الكلمة ، واما ان يكون « تهويشا » وتضليلا ..

يقول البعض انه الحقيقة بعينها ، ويقول البعض الآخر انه افك وخداع وتضليل . فاذا كان كذلك ، فبمجرد ان نخلي عقولنا من جميع شواغلنا يجدر بنا ان نمضي في اصلاح حالنا لتصلح دنيانا . اما اذا كان ما تلقيناه حقائق علمية فأفضل عمل يجب ان يقوم به اي انسان هو السعي والداب على تعلم المزيد من الحكمة والقوة ، والاخذ بأحدث الوسائل والطرق لبناء حياة أسعد وأفضل .

فهل هو حق ام زيف ؟ .. هذا التساؤل يجب ان يقودنا الى الحقيقة ..

ان الانسان المتوسط قد يثور ولا يرضى ان يتناقش في مثل هذه القضية . فهو لا يمكن ان يصدق بأي حال ان بداخله مثل هذا المخزن المليء بالحكمة والقوة كالذي نتحدث عنه . وهو غالبا ما يتبرم ويستاء من بذل اي مجهود يقوده الى الاقتناع بأن شيئا من هذا القبيل موجود في تركيبه العقلي . ويحسب او يخيل اليه ان مثل هذا المجهود يعتبر اهانة له وانتقاصا من ذكائه . والاناسي الذين ليست لهم دراية بعلم النفس سرعان ما يثورون ويتبرمون ثم يعودون فيذعنون لمعتقداتهم ، بعكس المشتغلين بعلم النفس فانهم يعرفون جيدا ان كثيرا مما يعتقده الناس ويؤمنون به — فيما يتعلق بهم وبغيرهم وبأشياء اخر — انما هو كذب وبهتان . وانهم لراغبون ، متحمسون لرغبتهم في تغيير المعتقدات الزائفة بحقائق صريحة كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا . لانهم يدركون تماما ان الصدق سيجعلهم طلقاء احرارا .. احرارا من الاشياء التي تقلقهم وتقض مضاجعهم وتخدعهم وتعرقل سعيهم الى الحياة الرغدة التي يتوقون اليها . وكقاعدة عامة ، نرى ان اولئك الذين ليسوا على شيء من علم النفس يفضلون التمسك بمعتقداتهم ولا يرضون عنها بديلا حتى ولو كان هذا البديل حقا صراحا ، اكثر جمالا ، واكثر اشراقا ، مبشرا بالخير الكثير والرزق الوفير .

والشخص الذي لم يساير تعاليم علم النفس الحديث يلاحظ ان عقله كما يجب ان يكون — جزء من ذاته خفي عجيب ، ليس له من عمل الا التفكير ، ولا شيء غيره — ويتصور ان الحكمة في عقله لا تشمل الا الاشياء التي تعلمها منذ مولده ، والاستقراءات التي توصل اليها عن طريق الاستنتاج والاستدلال من الاشياء التي تعلمها .

اما العالم النفسي فانه يعرف ان الشخص الذي يرضى ان يكون عقله مجرد آلة عادية تافهة ، يخطىء خطأ جسيما ويفقد الكثير من مباهج الدنيا وفرص الحياة .

دع الشخص الذي يعتقد ان حصيلته من المعارف انما يجب ان تكون فقط كل ما تعلمه منذ نشأته ، يجيبك على هذا السؤال : ما هي القاعدة الكيميائية لتحويل الطعام الى نخام ؟ .. والنخام هو مادة غريبة تقوم بصنعها الغدة النخامية او النخمية الكائنة عند قاعدة المخ . وكمية هذه المادة وكيفيتها هي التي تحدد ما اذا كان الطفل سينمو ويغدو ضخما او سينشأ ضئيلا ، وتحدد ما اذا كان الفرد حين ينمو ويكبر سينتمي الى حزب شجر الجميز او الى حزب اغصان البان .

ثم اني ارجو الاجابة على هذا السؤال : ما هي المعادلة الكيميائية لصنع النخام ؟ ..

اذن فاعلم ان كنت لا تعلم انها احدى وظائف جسمك التي لا يمكنك ان تملك ازاء بنائها عمل اي شيء . والتي تدور وتظل مستمرة في دورانها كساعة مملوءة .

هاك سؤالا بسيطا اخر فلنحاول الاجابة عليه : اذا كانت درجة حرارة الهواء الذي يحيط بك في غرفة ما ٧١ درجة ، وكنت جالسا في هدوء ، ومجردا من الثياب اي في حالة عري تام ، وكان وزنك ٦٩ كيلو و ٥٠٠ جرام ، فكم من السكر يجب ان يطلقها كبدك في مجرى دمك كل دقيقة لكي تقف درجة حرارة جسمك عند ٩٨ ٣\٥ درجة؟ هل من جواب ؟ الا تستطيع الاجابة ؟ ..

اليك مثال آخر عن الساعة المملوءة التي لا تتوقف عن الدوران . اي ساعة ، ساعة حائط او ساعة منبهة ! .. لنفرض ان درجة الحرارة خارج الغرفة التي تجلس فيها

في درجة التجمد ، ولنفرض ان احدهم فتح عليك الابواب والنوافذ فجأة . لا شك ان الامر سيسوءك وستصاب بأذى بالغ جسيم ! .. هل تظن ان الساعة ستستمر في تكتكتها ولن تتوقف دقاتها الخفيفة المتوالية في حين تكون درجة حرارة جسمك قد نزلت الى قشعريرة الموت؟ كلا ..

ان في اقصى الخلف بأسفل مخك عقدة صغيرة من خلايا المخ يمر منها عصب الى كبدك . هذا العصب هو سلك (تليفون) حي . وعندما تنزل درجة حرارة دمك حوالي عشر درجة فان العقدة الصغيرة من خلايا المخ الموجودة في الجزء او الجانب السفلي من مؤخرة المخ ستحس بالهبوط ، ومن ثم يعمل بعض الذكاء او القوة المدركة فيك على الاتصال « تليفونيا » بكبدك ليضع مزيدا من الوقود في النار – اي مزيدا من السكر في دمك – بقدر معقول لا يتجاوز الحد المألوف ، فان الزيادة الكثيرة قد تسلمك الى حمى او تلقي بك في بحر من العرق غزير . والكمية المطلوبة هنا هي التي تكفي لوقف حرارتك عند ٩٨ ٥/٢ درجة . فاذا انقطع سلك التليفون الحي او حدث به عطب ، فان الكبد يتوقف عن اداء وظيفته فيكون الموت المحقق .

ان الميكانيكي الفذ في المعرفة بسر الالات ، وكبير مهندسي الآلة العجيبة التي هي جسمك ، يعمل بين تضاعيف جزء من مخك لا تستطيع بدونه ان تتعلم اي شيء او تقيم الحجة على اي شيء . ولن تستطيع بدونه كذلك ارسال اية رسالة الى عصب تليفوناته ، لان هذه التليفونات ليست على اتصال بهذا الجزء من مخك . انها بكل دقة عبارة عن « خطوط الخدمة » التي لا يمكن ان يستعملها الا السيد المهندس وحده دون غيره . وانت كقوة عقلية موضوعية ، لست الاستاذ المهندس ، ولكنك مجرد ساكن او مستأجر ساذج جاهل لست على شيء من المعرفة ، كثير الاخطاء ، تعتقد وتتأثر بمجموعة من الاشياء ليست على شيء من الحقيقة في كثير من الاحيان ، فانت بالتالي تعمل بجهل وبلا تبصر في اغلب الاوقات ، كما انك تجهل الكثير من شئونك الخاصة .

وجاء السيد المهندس ليقوم بعملية البناء ولقد قام فعلا باصلاح جسمك وترميمه وتجديده منذ ان كان ما يزال مجرد خلية صغيرة جدا تكونت من اختلاط خلية الذكر التناسلية بخلية الانثى . ولسوف يظل على عمله هذا الى ان تجود النفس بالنفس الاخير ويهدأ القلب هدأته الاخيرة . انه جاء ومعه رسوم البناء وتصميمه والشروط والمواصفات ، وصورة لجسمك . اما مواد البناء فقد استخلصها في بضع شهور قلائل من جسم امك ، وما انفك منذ مولدك وهو يستخرج هذه المواد من غذائك . انه لم يبن جسمك بالايدي او بالآلات او العدد ، وانما بناه بقوة تفكيره الخالق ، الصافي – تلك القوة التي تخلق وتبدع الصورة الذهنية على درجة من القوة والصفاء بحيث تجتذب اليها انماطا وحالات ثابتة محققة من المادة تملأ بها الفراغ . اما المواد التي في الخلية والتي كانت بداية جسمك ، فكانت « تشكيلا نفسانيا » بفعل قوة تفكير السيد البناء ، اي انها صيغت بواسطة الفكر . وبعض المواد التي في جسمك ما تزال فيها المرونة النفسانية . وفيها الاثر الفعال لتضميد الجراح . يبعث بها السيد المهندس الى المنطقة المجروحة او المكلومة وبقوته الخارقة ، الخالقة ، يصوغها الى اعصاب وشرايين واوردة وغضاريف وعظم وجلد .

انت .. ماذا تكون ؟

والسيد المسيطر الذي في طويتك هو انت ذاتك . او بالاحرى الجزء الاخر منك ، الذي كان على درجة من الذكاء عجيبة قبل ان تميز عيناك اي شيء وانت ما تزال بي المهد صبيا ، او قبل ان تستعمل عقلك في التجارب او تستدل به على اي خبرة من خبراتك .. انها نفسك الخالدة ، وانها هي المسكن او مقر الذكاء الابداعي العام .

وهذا العقل المسيطر يسمى دائما في لغة علم النفس بالعقل الدوشعوري او التحتشعوري . ويسمى في بعض الاحيان بالعقل اللاشعوري . ويطلق عليه احيانا عقل الشعور الاعلى او عقل الشعور الارقى . وان هي الا اسماء لمسمى واحد ، تعددت الاسماء والشيء واحد . ويقصد بهذا كله المنطقة من العقل الواقعة عند مؤخرة عقل التمييز والادراك والاستنتاج والاستدلال بيد ان بعض علماء النفس يفضلون تقسيم العقل الى ثلاثة اطوار بدلا من اثنين هي : العقل الموضوعي او العقل المدرك ، والعقل الذاتي او العقل الحالم ، والعقل التحتشعوري او العقل المبدع، الخلاق . ويبدو ان هذا التقسيم ضروري لان هناك كثيرا من اطوار العقل التي لا تشبه من قريب او بعيد اي من العقلين الموضوعي او اللاشعوري فانضم احدهما الى الاخر واطلق عليهما العقل الذاتي . ولقد شاع الان بين الكتاب والمحاضرين تقسيم العقل الى ثلاثة اطوار . ولكننا هنا يهمنا ان نشير فقط الى العقل اللاشعوري او المبدع .

فالمشاهد ان العقل اللاشعوري يبدو عالميا في مجاله على الاقل ، لانه يعمل على تنفيذ واتمام نفس الوظائف التي من شأنها القيام بعمليات البناء والادارة في جميع الاجسام البشرية ، بصرف النظر عن السلالة او الاقامة او الشئون الثقافية . ويبدو ايضا ان يكون نوعا من انواع الاذاعات المنتشرة في انحاء العالم ، والتي تستنغمها وتنسجم معها جميع الاجسام البشرية . ان بعض الناس ممن يعتبرون موضوع علم النفس الحديث شيئا جديدا بالنسبة لهم ، يرون انه من العسير ان يفكروا ان عقلا واحدا فردا يمكنه ان يملأ الفراغ الذي يحيط بالدنيا ، وان طورا معينا للمادة غير ذي اهمية عملية هنا . اما الشيء الهام هنا هو ان مثل هذا العقل يؤدي وظيفته فعلا في كل جسم بشري .

هذا هو الفرض الاساسي والقضية المسلم بها في علم النفس الحديث : الاستقرار في كل مخلوق بشري لحالة من حالات العقل ، احكم واقدر واقوى واكثر سطوة من العقل الموضوعي الصغير العطوف ذي الرحمة الذي لا يعرف شيئا سوى ما يفهم او يدرك خطأ عن طريق حواس الجسم الطبيعية الخمس . والافتراض الثاني هو ان المخلوق البشري يمكنه ان يتصل ويمتزج بالعقل المستقر العجيب ، ويستميله اليه للاسترشاد به في التفكير وفي عمل الاشياء التي تجلب السعادة والكثير من اطايب الحياة.

ثم ان العقل الباطن لا يتطفل ابدا ، ولا يتدخل فيما لا يعنيه من شئون الفرد الخاصة ما لم يطلب اليه ذلك . انه سيجعله يصدق الكذب والنفاق طوال حياته ، وسيؤثر على حياته دائما بالضرر والخسارة دون ان يشير عليه او يلمح له من قريب او من بعيد انه كذب ونفاق . وسيتركه يفعل ويفكر في اشياء تجعله سقيما عليلا ، وسيستعمل جميع مصادر الجسم السقيم لاصلاح التلف وترميم العوار ، ولكنه لن يوحي ولن يشير الى السبب الحقيقي ولا الى العلاج . انه سيقيم بالحق في نفس الجسم بعقل موضوعي يعمل ويقول ويفكر دائما وباستمرار في الاشياء التي تجلب الفشل والاخفاق والعجز والخيبة والحاجة والبؤس والفاقة والضنك والاملاق والحزن والغم بدون اي ايحاء يختص بما كان ينبغي ان يعمل ويقال ويفكر فيه . ومع ذلك وبالرغم من كل هذا ، فهو اقرب الينا من حبل الوريد ، يجيب دعوتنا اذا دعوناه .

الإيحاء الذاتي

وهذا يقودنا الى لغز الدعاء او الطلب او الالتماس العملي . فكيف يمكننا ان ندعو العقل الباطن ونطلب منه ان يستمع الينا ويطيعنا في تلبية طلبنا ؟ . ان الطلب ينبغي ان يكون بالطريقة الصحيحة المثلى ، والا فيزوَرّ عنا ولا يكترث بنا . والحديث فقط عن الطلب او التفكير فيه سيكون باطلا لا نفع فيه . فاذا رغب الشخص في التحدث الى العقل الباطن وجب عليه ان يتحدث اليه بلغته التي يفهمها ، اما لغة البشر فهي غير ذات نفع . هذه هي النقطة التي طبق علم النفس الحديث نفسه عليها بالنشاط الجم والمثابرة . انه وجد اولا ، المبدأ العلمي الاساسي الكائن او الواقع تحت ما يسمى « بالايحاء الذاتي » الذي يعني احداث الايحاء بالتلقين او بالمحاكاة . ويعني عمليا الايحاء الموجّه من الشخص الى عقله الباطن ، لا الى عقله الموضوعي فحسب . لان الايحاء الذي يوجهه الفرد الى عقله الموضوعي لا فائدة منه ولا جدوى .

واليك شرحا فنيا للقانون العلمي الذي يتعرض للايحاء الذاتي ويدعمه وهو : « ان الفكرة المعزولة تميل الى تحقيق نفسها واثبات وجودها في جسم من يعزلها ، وتنزع الى التدخل في شئونه » . وهنا يبرز هذا السؤال : ما هي الفكرة المعزولة ؟ .. هي فكرة مفردة تقف في العقل وتعمل على طرد اية افكار اخرى . وقد يكون من الصعب التعبير عن مثل هذه الافكار بالكلمات . ففكرة « انا هنا » ليست بالفكرة المعزولة ، لان عنصر المكان موجود فيها ، شأنه تماما شأن اي عنصر في الوجود . و « انا اكون » قريبة نوعا الى فكرة معزولة يمكن التعبير عنها بالكلمات والالفاظ .

الفكرات العازلة

اذا اراد الشخص ان يعزل تفكير الوجود المطلق الحر الذي يتضمن كلمتي « انا اكون » فستكون الفائدة التي يجنيها هي فقط : الاحساس بالطمأنينة ، والشعور بالهدوء والسكينة ، وليس هذا هو الهدف الوحيد الذي يتجه اليه علم النفس الحديث . وانما هو : ذوق وتمييز وقوة ادراك ، وضرب من ضروب العلم العملي ، وغرض بعينه يعاون الناس على زيادة دخلهم ، وتحسين مراكزهم في الحياة ، ورفع مستوى معيشتهم ، فيصبحون اكثر ايجابية ، واكثر جاذبية ، ويعملون على الحصول على مزيد من الصداقات والحب والسعادة . وحين يحصلون على هذه النتائج ، سيصلون حتما الى مراكز أعلى تؤهلهم لخدمة الاخرين فينالون ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة. « وليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله » .

وفي غضون سني التجارب والاختبارات وعمل التطبيقات العلمية على كثير من الاف الحيوات البشرية ، تكون المعادلات والقواعد العلمية البسيطة قد عملت على استخلاص الفكرات العازلة من الاشياء والحالات التي طالما تهفو اليها النفس وتشتاقها الروح ويشتهيها القلب . وتنتشر اللغة التي يمكن الانسان ان يتخاطب بها مع العقل الباطن ، فيغوص في اعماقه ويكشف عما فيه من مساعدات فعالة تجعل حياة الشخص كما يود ان تكون .

الاستمتاع بالحياة

ان كاتب هذه السطور كان له شرف الاسهام بنصيب متواضع صغير في القيام بهذه الاختبارات والتجارب ونشر تلك القواعد (١) ، ولذا فقد جاء ليعرف ، من خلال تجربة كثير من عظماء الرجال والنساء في جميع اقطار العالم ، ان الاستعمال الصحيح لهذه القواعد البسيطة يساعد على الوصول الى مخزن الحكمة المقيم ليمده بالوحي والالهام ويرشده الى الهداية والتوجيه الضروريين لجلب السعادة والحصول على النتائج السعيدة التي سبق ان اشرنا اليها ـ واكثر من ذلك الاشياء التي تضفي على الحياة متعة ومسرة.

وغرضنا الحالي هنا ليس هو ان نعالج الطرق والقواعد، وانما هو مناقشة السؤال عما اذا كان العقل الدوشعوري يمتلك حكمة اكثر من العقل الموضوعي ام لا ؟ ونحن نرى انه في حال بناء جسم والتأثير فيه يمتلك قدرا من الحكمة

(١) من مؤلفات الكاتب : « الاحلام والرؤى » و « لكي تكون سعيدا » و « الطريق الى النجاح » وكلها عن دار المعارف بمصر . (٢) التلفنة : استعمال التليفون . (٣) المرداد : جهاز ترديد الصوت .

العودة الى يافا

***

يا حلما يضج في عروقنا
يا أملا يفور في ضلوعنا
يا عودة المشرد الحزين للديار
يا فرحة الصغار والكبار
يا غنوة الرجال والنساء
من يشعل الضياء في دروبنا ؟
من يشعل الضياء ..

الياس في قلوبنا
الموت في ضلوعنا
الليل في دروبنا
والسور من امامنا
من يقتحم سور العدى
من يقسم اليمين ان يعود ،
أرضنا تشكو الفدا
وبرتقالها يشكو الذبول ،
برتقالها يشكو الندى
يستصرخ الخيام ان تضج بالنداء
ان تشعل الضياء في دروبنا
أن تشعل الضياء ..

يا عمرنا الذي نموت فيه ألف ألف
يا ذلنا الذي يفور في القلوب
ويطفىء الشموع في الدروب
يا عزنا المهان ، هل ستسمع النداء
خيامنا ، فنملأ المدى
ونزرع الزيتون في حقولنا
ونملأ الحقول بالندى
يا عزنا المهان ، هل سنشهد الفدا ؟
مزركشا بالورد .. بالغصون
تغمره المياه والزيتون
هل نشهد الضياء في دروبنا ؟
هل نشهد الضياء ..

يا حلما يضج في عروقنا
يا أملا يفور في ضلوعنا
من يشعل الضياء في دروبنا ؟

العراق ـ الحلة — علي الحسيني

أعظم واكثر مما يمتلكه العقل الموضوعي ، وتفكير لحظة وجيزة يجعلنا ندرك تماما ان بناء جسم والهيمنة عليه يتطلب خبرة ومعرفة في الكيمياء وعلم الاحياء وعلم الاشعة والتلفنة (٢) وعدد من علوم اخر بعيدة كل البعد عن أي شيء يمت بصلة الى العقل الموضوعي .

القوة المقيمة

ان الشخص الذي يجتذب الحكمة المقيمة او يستميلها اليه ليستعين بها بالنصح والهداية والتوجيه والارشاد في جميع الاعمال والحرف ، وفي حل مشاكله وفي اشباع رغباته ، لم يخالف بذلك قانون التكافؤ ولم ينتهك حرمة اي قانون من قوانين علم الاجتماع او علم الاقتصاد . وانما هو بذلك يضبط مرداده (٣) العقلي بحيث تأتلف انغامه مع اصفى والطف وارق ايقاعات الحياة والحانها ، وجعلها تؤدي اللحن العذب خير اداء . ويقيم في ذات نفسه اتجاها افضل مختلفا لعقله ، بايمان اقوى وامل اكبر واكثر شجاعة وبوحي والهام . ويجد انه تغاضى عن الفرص التي كانت لديه فيما مضى ، ويقوم بأعمال جديدة افضل وباتصالات اجتماعية احسن لان اتجاهه العقلي الجديد يجتذب اليه طائفة من الناس ارقى واسمى ، وينساق طبيعيا وبكل سهولة الى عمل الاشياء التي تدفعه قدما الى الامام وتثبت اقدامه في الحياة الكريمة النبيلة . ويغدو ، بالاختصار ، اكثر اهمية في عالمه ويحصل على أسس قيمه ومثله الكبيرة النامية . وغالبا ما تأتي هذه التغييرات بسرعة عجيبة ، ولكنها ، في واقع الامر ، تدخل بطريقة منظمة عملية ، وبدقة متناهية مطابقة للقوانين الطبيعية والاقتصادية ، فيها الحق والعدل لكل من كان له في الامر شأن .

كن قائد نفسك

هل المخلوق البشري في الدنيا كمركب شراعي تتقاذفه الاهواء وتلعب به الانواء في بحر الحياة الخضم ، تحيط به اسرار غامضة مبهمة لا يفهم منها شيئا ولا يدري عنها أي شيء ، تلطمه قوى مجهولة لا يعلم كنهها وتسوقه الى حيث لا يعلم ؟ .. ام انه قائد نفسه .. على كثير من العلم والمعرفة ، وعلى بيّنة بقيادة اموره وادارة دفّته الى مرفأ احلامه ؟ هناك من يقولون انه الاول . اما علم النفس الحديث فيقول انه الثاني ..

انني احاول ان اجلو بعض ظلال الشك وابدد ضباب الحيرة التي تكتنف موضوع علم النفس في عقول كثير من الناس واقدم الموضوع على اسس سليمة بسيطة علمية ، ودعائم قوية البنيان وطيدة الاركان في ارض يعيش عليها الناس رجالا ونساء واطفالا .

الاسكندرية — عبد العزيز جادو

في رحاب النقد

الاحمر والاسود لستندال

بقلم مرغريت شو

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

كانت فرنسا قد اجتازت ثورة ثانية حين نشرت « الاحمر والاسود » * حوالي تشرين الثاني ١٨٣٠ . وقد بداها المؤلف في نهاية ١٨٢٨ وانهاها في صيف ١٨٣٠ . ان لهذه القصة اهمية تأريخية ، ففي صورة الحياة التي رسمها ستندال للاقاليم وباريس نجد باستمرار آثار النزاع بين الملكيين والاحرار « اللبراليين » هذه الاثار التي قدر لها ان تؤدي الى « الايام المجيدة » ايام تموز ١٨٣٠ وتخلي تشارل العاشر عن العرش لصالح « ملك مواطن » . عرفت فرنسا قصة ستندال بكونها بلدا تنازعته الاختلافات بين « الاحرار » رافعي مبادىء حرية التفكير وحرية النشر وبين الملكيين المتطرفين المؤيدين لتشارل العاشر ، في محاولته لاستعادة السلطات المطلقة التي كانت من مميزات الملك في العهد القديم ، وقد بلغ الامر شأوا فقد الامل فيه بتسويته وحله . وفي هذا البلد ايضا مالت الكنيسة الى جانب معين في الصراع ، اذ اعلنت عن « حلف بين العرش والمذبح » مورية بذلك الامن بين الناس ذوي وجهات النظر المختلفة .

كان مؤلف « الاحمر والاسود » لبراليا وبوناباريتا ، وحر التفكير ، وعلى هذا الاساس اتهمه بعض النقاد بالتحامل غير اللائق . ومع ذلك ، فالصورة التي يقدمها لنا عن فرنسا (١٨٢٥-١٨٣٠) تؤيدها الشواهد الخارجية ، ومصداق ذلك شخصية المركيز دي لامول ، الملكي المتطرف ، والقسان : الاب بيرار والاب شيلان ، فهذه الصور الشخصية تزكيه من تهمة التطرف . وعلى ذلك ، نستطيع ان نسلم جدلا بأن المؤلف يقدم لنا صورة لا غبار عليها عن ايام عاش تجاربها انسان فوصفها ، بغير ان تكون له فرصة لترتيبها وتنظيمها .

وعلى كل فليست القصة التأريخية هي التي تهمنا من العمل الادبي ، بل ما يهمنا هو رواية العادات والاخلاق التي كتبها رجل هو اقرب الى علماء النفس منه الى السياسيين الحزبيين ، وهو فنان مبدع اكثر من كونه مسجل حوادث .

اما عقدة القصة فاستخلصها ستندال مما وجده في جريدة « غازيت دي تربيون » لشهر كانون الاول ١٨٢٧ . انطوان بيرثيه شاب جميل ذكي طموح ، ابن حداد ، رغب في ارتقاء درجة من (سلّم) العالم . وبمساعدة قسيس القرية حصل على (وظيفة) معلم في اسرة متوسطة الحال في (غرينوبل) لكنه اعفي عن عمله قبل نهاية السنة . وبعد ذلك دخل مدرسة دينية في بيلي ولم تكد تمضي سنتان حتى طلب اليه ترك المدرسة ، وفي الحال حصل على القبول في مدرسة دينية اخرى في غرينوبل ، وفي نهاية شهر واحد ، اعلمه (المسئولون) بأنه لا يصلح لان يكون قسا . ولما بلغ به الفقر مبلغه واليأس مداه ، باشر بكتابة رسائل اهانة الى زوجة سيده الاول ، مدام ميشو ، ولما خاف زوجها فضيحة مكشوفة وجد له عملا في اسرة المسيو كوردون ، ولكنه ما لبث الا قليلا حتى طرد من عمله ، وهنا اخذ يكتب رسائل المسيو ميشو مهددا اياه بقتل زوجته ، فلم يجد الاخير من بد من السعي للعثور على عمل له . وبعد اسابيع قلائل ظهر بيرثيه فجاة اثناء القداس في الكنيسة واطلق عيارات نارية على مدام ميشو . وفي غضون المحاكمة ادعى بيرثيه بأن الاستفزاز هو الذي دفعه الى ما دفعه اليه . انه اراد (كما قال) التكفير عن خطيئته ليصبح (قسيسا فاضلا) ولكن اعترافه لرئيس (الرهبنة) تسبب في طرده . حاول في بيت المسيو كوردون ان يكون مؤدبا ، ولكن رسالة من مدام ميشو وخشية مخدومه من ملاطفة ابنته حملاه على اخراجه من البيت . وبدافع فجائي انتقم لنفسه من المراة التي اعتقد بأنها كانت السبب في كل مصائبه . تأثر العديد من الناس بدفاع بيرثيه . فحسبوه ضحية تعيسة من ضحايا المراتب الاجتماعية العالية ، وحاولوا مساعدته لايقاف التنفيذ ، ومع محاولاتهم نفد فيه حكم الموت .

وهنا ، سيتعرف قراء (الاحمر والاسود) على اساس قصة ستندال ، وفي الوقت نفسه سيتعرفون على عبقرية كاتب استطاع خياله ان يحول الحادثة الحقيرة ويوسعها الى فريدة من فرائد (فن) الرواية على نطاق عظيم . ان كلمة عظيم لا يبررها اسلوب القصة ، فانت لن تجد جملا بديعة ، ولا بطولات ولا تحليقات الكتابة الخيالية ، وانما قصة تسرد ببساطة لغة اناس مجتمعين حول الموقد او على مائدة الطعام . ومع ذلك ، فالقصة عظيمة في مجالها الفكري وهدفها . سمّاها ستندال « سجل القرن التاسع عشر » . وهي كذلك كما اقترحت آنفا ، ولكن هذا السجل يراعي الناس والعادات اكثر من مراعاته للقوانين والملوك . اننا نجد اشارات للدستور والحكومة ذات المجلسين وتلميحات الى المؤامرات ضد الملكية واجراءات معاكسة ضد الجمهوريين وايماءات الى الرقابة على الصحافة والخوف المستمر من اي ثورة

* ظهرت رواية « الاحمر والاسود » حديثا في منشورات عويدات بيروت مترجمة بقلم غيات حجار .

جديدة ، وهذا الامر الاخير جعل احد الملكيين يرى (يعقوبيا (١) خلف كل سياج) . ثم اننا نلتقي بين شخوص القصة بملكيين ولبراليين ومتعصبين لفرنسا وغلاة محبي البابا واليسوعيين والجانسينيين (٢) . ولكن اهتمامنا لا ينصب على ما يحدث في حقل التاريخ انصبابه على تأثير الحوادث في حياة الناس الاعتياديين وسلوكهم . فخدع السياسة المحلية ومناوراتها ومؤامرتها والتكالب على المناصب والمشيخات والاوسمة وطمع بعض الكهنوت في السلطة ومراءاتهم وغضب الناس الطيبين على « مساوىء الكنيسة والمجتمع » كل هذه الامور مجتمعة هي ما دعاه ستندال « مرآة الحياة » وهي تعكس « في مسيرتها في اعالي الطرقات » زرقة السموات ووحل اسافل الدروب » وهي فضلا عن هذا وذاك صورة اتهام ضد مجتمع تفضل فيه الثروة والمرتبة الاجتماعية على الجدارة الشخصية والطاقة (الفردية) « التي تبذر في مهمات اجتماعية تافهة » .

صحيح ان هذه القصة « مرآة » فمجالها العملي يمر عبر سلسلة من المشاهد للحياة في مختلف احوالها واوضاعها ، مدينة صغيرة في الاقاليم ، دار ريفية مع بستان وحديقة ، مدرسة اكليريكية (دينية) ، دار أحد النبلاء في باريس ، محكمة الجنايات في بيزانسون ، والتعليق الرئيس لهذا المجال يتضمن في المناجاة والمحادثات ، وكل تفصيل لهذه القضايا انما ينتقى ويختار ليقدم لنا صورة معينة لمزاج معين او اخلاق خاصة . والقصة شأنها شأن المرآة لا الصورة المرسومة ، تعكس في مسيرتها الملامح التائهة وصور الحياة الغريبة المعبرة في غرف الاستقبال والصالات ولمحات مقتضبة من المناظر الطبيعية . فعلى الطريق الجبلي الذي يرقاه جوليان (بطل القصة) والهدوء والبرودة تحت الاشجار ، والصخور العالية العارية ، والصقور المحلقة في الاجواء ، كل هذه الاشياء لا بد منها لتكون على طرفي نقيض مع صخب مائدة المسيو دي رينال وانفعالات الحياة التي افقدت جوليان حريته والتي عبرت عن مزاجه الخاص . اما قصر دي لامول ، فعلى ما فيه من اخشاب مطعمة بالذهب الثقيل الكثير ، والمرايا « العظيمة » المهيبة ، فهو نموذج لمجتمع ظاهره الروعة وباطنه السأم والملل . اننا نعرف من اللحظة الاولى بأن الشخصية الانسانية ستختنق هنا ، اننا نستطيع التنبؤ بردود جوليان حينما ينقشع البهاء (الظاهري) عن التأثير فيه . والنقاد الذين يعيبون على ستندال قصوره وحوشيته في وصف الشخوص يغضون الطرف عن الحقيقة وهي ان القصور والحوشية جزء متمم لكيان القصة ، وليس الامر كذلك مع التزيين الذي يتراءى لنا في الاوصاف الجميلة العديدة (التي تطفح بها القصص عادة ، من غير ان تكون لها صلة ما بالحياة الواقعية) (٣) .

وبهذه الطريق يربط ستندال اناس قصصه بأساسهم الواقعي . وثمة وشيجة اخرى ، وهي ان الشخوص الرئيسة الثلاث في « الاحمر والاسود » كلها مستاءة اشد الاستياء من بيئتها ومن هذا الاستياء تنبثق القصة.

ولو لم تقترن مدام دي رينال بزوج فظ ، خشن الطباع لما شعرت بالقرف من الحياة الريفية ، ولو لم تقارن ماتيلدا بين شباب غرفة استقبال امها وبين احد اسلافها في القرن السادس عشر ، لسوء حظهم ، ولو لم تجد الاولى « صلة خاصة » بينها وبين مربي اطفالها ، ولو لم تفكر الاخرى في اكتشاف قوة ومبادرة في سكرتير ابيها ، الصفتين اللتين انعدمتا في النبلاء المحيطين بها ، ولو لم تسع كبرياء جوليان الجريحة لاغراء زوج رجل من طبقة اعلى من طبقته ، وتفضيله على المركيز الشاب الذي اراد الاقتران بماتيلدا ، لو لم يكن كل ذلك لما حدثت الكارثة . وبعد ماذا يتبقى من الكتاب ؟

يسعنا الاعجاب بأناقة القصة في كيانها ، وتقدير الفن الذي ـ طور ستندال بموجبه ـ الموضوع الرئيس بين المجتمع والفرد ، سائرا فيه بتؤدة من حادثة الى حادثة اخرى ، واضعا فيه الاحوال المفرحة والمحزنة وجها لوجه. (كما هي الحال حين ينسى جوليان مطامحه فيمضي مسرعا لاصطياد الفراشات في البستان) .. ولنا ان نثني على ستندال لبعد نظره وعمق ادراكه النفسي .. ولمعرفته التفصيلية بالفوارق التي تفصل بين الانسان الحي والنموذج ، ومع هذا فقد نقتفي اثر بعض النقاد فنصف فنه بالتصنع ورشاقته بالميكانيكية ، ونحسب قصته عن جوليان سوريل توسيما للمذهب (البيلي) (٤) القائل : « ان قوة الارادة وتنفيذ هذه الارادة هما اعلى دليل على (الانسان المتفوق) وان ادى به الامر الى الجريمة . »

اما نحن فنعتمد على تفسيرنا الخاص لسلوك جوليان ولا سيما الدوافع التي حدت به الى محاولة الاعتداء على حياة مدام دي رينال . ومحور القضية يدور حول هذه الامور : هل كان جوليان مالكا مشاعره تماما حين اعتقد بأن ما يفعله « يحرره من القوانين التي تربط بين (اعضاء) القطيع العام » أم انه كان فاقدا عقله بسبب الرجة التي احدثتها رسالة مدام دي رينال ؟

لا بد لنا من العودة الى القصة لننظر كيف يطور ستندال شخصية بطله ... انه يريه لنا شابا ذا عواطف قوية ، مع قلة حصافة ، شابا اتخذ من الرياء له قانونا ، لا لان الغش طبع من طباعه الاصيلة ، ولكن بسبب من قلة تجربته بالعالم . ان الرياء يبدو له الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بواسطتها انسان من اصل وضيع شق طريقه في الحياة . ولو كان له الخيار لارتدى قميص الجنود (الاحمر) مثله ـ في ذلك ـ مثل الكثيرين من الشباب في عهده ، في نظرتهم بأسى ولوعة الى ايام (الجيش العظيم) وبطله نابليون . والان وبتأثير الظروف ، ليس له الا ارتداء جبة القس (السوداء) لانها البديل الوحيد . ومن هنا

فهو موضوع في طريق من العمل معين ، لا بد له فيه من قمع مشاعره الحقيقية . ومن هنا ايضا فلسنا نعجب حين نرى هذه المشاعر تنفجر بعنف كلما وجدت لها منفذا . وكلما واجه البطل حادثة طارئة فقد زمام راسه ، وهذا على ما اعتقد ما عناه ستندال لكي نفهم حادثة اطلاق النار .

ووجهة النظر هذه يؤيدها ستندال بوصفه لحالة جوليان الذهنية بعد قراءة الرسالة ، انه لا يقدر على التفكير ولا على مسك القلم ، ويكاد يعجز عن افهام بائع الاسلحة عما يريد ويبتغي . وهذا ما يؤكده فصل من فصول القصة بعد الحادثة حين نعلم بأن جوليان قد شفي (من حالة شبيهة بالجنون ، وانفعال عصبي كان تحت تأثيره منذ تركه باريس) وعند علمه ببقاء مدام دي رينال على قيد الحياة ، اخذه شعور من (الندم) على جريمته . (صفيري جوليان) هكذا كانت تدعوه ماتيلدا ، وهذا التعبير لا يدفع جوليان لان يكون مرائيا جيدا حسب ، بل هو ليس من القسوة بحيث يصبح طبعة (نسخة) أقدم من (انسان) نيتشه (المتفوق) . وبالايجاز ، اذا كان لي ان افسر ستندال تفسيرا صحيحا ، فليس بجريمة جوليان بل بندمه وبقبوله الهين للموت على انه تكفير للخطيئة لا كما يراها العالم بل كما يراها ضميره . وهنا يقف جوليان سوريل اعلى من القطيع العام ، ممثلا « للكائن المتفوق » الذي يرسمه ستندال .

والتناقضات في شخصية الانسان الذي كان (بيل) وستندال معا موضوع مثير ، ولكني لن اسمح لنفسي بالرجوع اليه . وغرضي هنا هو ابعاد ذهن الفنان التأملي من انفجارات الامزجة الحادة التي ادت به الى اصدار ببانات وحشية ، ومن اوحشها ، على ما اظن ، هو مذهب « بيل » . ولهذا ، ففي الفقرات الآتية ، لن استشهد بستندال وخصوصا في مقارنة اسلوبه بأسلوب « القانون المدني » .

اثار الكتاب – في وقت نشره – نقدا غير مستحب من الرومانسيين الذين عدوه خاليا من الجمال وكذلك الحال بالقياس الى الكلاسيين الذين حسبوه فظا خشنا سطحيا . لقد تألم ستندال لسوء تقديرهم ، ولكن سوء التقدير هذا لم يكن له ما يبرره – على ما ذهب اليه ستندال – ففي مقالة بعنوان « راسين وشكسبير » قدم الاسباب التي حملته على اختيار هذا الاسلوب . فحين الكتابة عن (الحوادث اليومية) لا بد لمؤلف القرن التاسع عشر من ان يستخدم كلام الناس الجاري ، لانه اقرب الى الطبيعة ، ولذا فهو اصدق تعبيرا عن الافكار والمشاعر من « البلاغة » كيفما كانت في قوتها وعنفها ، في بطولتها وشعرها . وهذا الخيار ممكن تبريره ، على شرط حيوي واحد ، وهو وجود (النار) في الكتابة .

ولم يزعج ستندال لاستخدامه الاسلوب (المحلي – العامي) الذي كان – في استخدامه – مجددا ، على الرغم من ان ذلك لم يكن ليليق بمؤلف رواية جدية ، وقد كان فخورا ليكون مجددا ، ومما قاله لنقاده « سأُفهَم في سنة ۱۸۸۰ » وقد صدقت نبوته .

وعلى الضد من اناس (۱۸۳۰) يمكننا ان نحكم وبحق على هذا الاسلوب بفضائله الخاصة ، فشكله يلائم (مرآة) مجتمع متمدن فيه تحجب العواطف بحشمة في ستار من الكلشيات والتعميمات والبيانات (المزوقة) المعترف بها لهى الجماعة . ووضع هذا الاسلوب وحده له فوائده الخاصة . اذ ليس من شيء يحطم وحدة الشكل والمضمون. ومع ذلك ، فهو الوسيلة التي بواسطتها يستطيع كاتب حساس حاذق مثل ستندال من عرض الطبائع العامة للكائنات البشرية جمعاء ، سواء اكانت هذه الطبائع عواطف خاصة بعصر سفسطائي ام لا فهي كامنة وراء اللباقة الظاهرة . فمثلا نحن نسمع بأهمية المسيو دي رينال الذاتية الثقيلة وكذلك انفعالات الاب بيرار وشكاسة ماتيلدا و (نادية) جوليان . تسير القصة – في سردها – قدما الى أمام بهدوء وليونة ، وحتى هنا ، فالاسراع بالحركة والتوكيد على العبارات تمثلان تلك الفصول التي فيها تقترب العاطفة من سطح (الرواية) .

يستعمل ستندال قليلا جدا من العامية ، وعندما يستعملها ، فاما يضع خطا تحتها ، او يشير اليها باعتبارها لهجة (دارجة) . فأسلوبه يبقى متميزا كأسلوب الكلام المؤدب . صحيح انه كان واقعيا ، اعجب به الواقعيون المتأخرون واعترفوا به رائدا لهم في القرن التاسع عشر ، ولكن طريقته تختلف عن طريقتهم . فالكاتب ينبغي ان يكون على ما يقول (رومانسيا في افكاره ، وكلاسيا في اسلوبه) وهذا المبدا هو الذي اتبعه في هذه القصة التي هي قصة رومانسية رفيعة الشأن ، سردت على مقاييس خير الكلاسيات الفرنسية . وهذا ما نراه لا سيما في الحوادث التي قد يستغلها الواقعيون (الخشنون) من اجل كتابة عاطفية حادة . (ولنضرب لذلك امثلة) : محاولة جوليان للاجتراء على حياة مدام رينال ، ومشهد تنفيذ حكم الموت فيه ، وفوق كل شيء ، الفصل الاخير حين تنوح ماتيلدا على راس حبيبها الميت . وبساطة ستندال المضبوطة في معالجة هذه الامور توضح لنا احتمالات الاسلوب المحلي الجميلة . .

ولو وهبت متسعا من الوقت لاحببت التحدث عن

---

(۱) اليعقوبيون هم اقصى اليسار الفرنسي في الثورة الفرنسية وما بعدها . (۲) الجانسينية نحلة دينية تقدمية ظهرت في فرنسا قبل عهد فولتير ، وهي تشبه الى حد ما الموحدين المسيحيين في الوقت الحاضر . المترجم . (۳) من كلام المترجم . (٤) بيل : هو اللقب الحقيقي لستندال ، والاخير هو اسمه المستعار ، المترجم . (٥) المقصود بالمجتمع انظمة الحكم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع ، المترجم .

اشياء كثيرة ، عن شخصية المؤلف المنعكسة في هذا الكتاب ، والتجارب التي اثرت في تطور عبقريته ولونت صورة مجتمعه ، والكتّاب — خاصة شكسبير — الذين يقفون خلف ادراكه للقصة التراجيدية ، والفلاسفة العاطفيين، من اضراب — هيلفيسيوس وكوندياك وديستون دي تراسي — الذين منهم استقى مفهومه للطبيعة البشرية ونظرياته الخاصة عن « بلورة » الحب . كما لا بد لي ان اشير الى اناس حقيقيين استند اليهم في تكوين شخوصه، كالاب غير الحنون ، والام التي تنعكس لطافتها و (بشاشتها) في مدام رينال ، وشامخة الانف ماتيلدا ديمبوفسكي التي هي نسخة اصلية لماتيلدا دي لامول . وقبل كل شيء احب ان اشير الى الكثير من التماثل بين ستندال وبطله ، الامر الذي حمله لان يقول : « جوليان هو انا » .

وكل هذه الاشياء ، ولو انها تساعدنا لوضع القصة في موضعها (اللائق) وتعطيها قيمة « وثيقة انسانية » الا انها ليست جوهرية في ادراكنا لها كعمل فني ، ولا الاستمتاع بها كقصة جيدة ، ولذا اكتفيت بملاحظة (بيوغرافية) وجيزة عن ستندال وكتاباته وحددت هذه المقدمة لمعالجة ميزات الكتاب نفسه . قد لا يتفق قراء « الاحمر والاسود » مع ما توصلت اليه ، ولكني آمل ان يكون ما توصلت اليه مثيرا لهؤلاء القراء كي يكوّنوا هم انفسهم اراءهم ...

ملاحظة بيوغرافية : السيرة الشخصية

ولد هنري ماري بيل في ٢٣ كانون الثاني ١٧٨٣ بمدينة غرينوبل ، وهو ابن محام . تمتعت عائلته بظروف مريحة ، ولكن الطفل ظل شقيا منذ وفاة والدته وهو في السابعة من عمره ، تعلم هنري على أيدي معلمين خصوصيين الى الثالثة عشرة من سنه ، أي الى التحاقه بالمدرسة (المركزية) في غرينوبل . وفي سنة ١٧٩٩ اسندت اليه وظيفة في وزارة الحربية من قبل قريبه بير دارو . ومن ١٨٠٠ فصاعدا اشترك في معظم حملات نابليون ، في ايطاليا برتبة ملازم ثان في فرقة (دراكون) السادسة وكمرافق للجنرال ميشو ، وفي المانيا (١٨٠٦) وروسيا (١٨١٢) والنمسا (١٨١٣) . اما الفترة ما بين هذه الوظائف فقد قضاها في باريس مترددا على الصالونات والملاهي . ولما غزا الحلفاء فرنسا ، ساعد هنري على تنظيم الدفاع عن الحدود الجنوبية الشرقية ، وبعد سقوط نابليون (١٨١٤) عاد الى ايطاليا متخذا الاسم المستعار « ستندال » وهنا بدأ بالكتابة . واول اعماله الادبية هو تاريخ للرسم الايطالي وسيرتا « هايدن » و « موزارت » وكتاب للرحلات بعنوان « روما ونابولي وفلورنسا » — ١٨١٧ — وفيه اظهر اهتمامه الشديد بالبشر واخلاقهم . وبعد ان اقصته الشرطة النمساوية من ايطاليا عام ١٨٢١ رجع الى باريس وهناك اتم كتابه « الحب » — ١٨٢٢ — وهو دراسة شبيهة بالسيرة الشخصية والتعليم معا . وهناك ايضا تصادق مع جماعة من الكتاب الشبان ومنهم ميريميه وبول لوي كوريه ، الا ان مؤلفاته لم تنل حظا من الشهرة . وفي كتابه « راسين وشكسبير » ١٨٢٢ و ١٨٢٥ دافع عن الرومانسيين ضد هجمات خصومهم الكلاسيين ، وفي الوقت نفسه حدّد افكاره في (الاسلوب) بتعابير جعلته اقرب الى الواقعيين من الرومانسيين ، وقصته «ارمانس» بعنوانها الثاني « مشاهد قليلة من صالونات باريس عام ١٨٢٧ » تشير الى بداية حملته ضد المجتمع ، تلك الحملة التي استمر بها بقوة اعظم وحصافة اشد بعد ثلاث سنوات في « الاحمر والاسود » . وبعد ثورة ١٨٣٠ تعين قنصلا في سقيتا فيشيا وهنا بدأ قصة « لوسين لوين » ولكنه تركها غير كاملة . ومن ١٨٣٦ الى ١٨٣٩ كان باجازة مرضية في باريس واثناءها شرع بكتابة حياة نابليون وكتب « مذكرات رحالة » واكمل قصتي « لابس دي كاسترو » و « دير بارم » والاخيرة مع « الاحمر والاسود » تعدان اعظم اعماله الادبية . استمر في كتابته بعد عودته الى سقيتا فيشيا ولكنه وجد العزلة في تلك المدينة مميتة لذهنه . وقد عانى كذلك من داء المفاصل ونوبات الصداع ، وفي سنة ١٨٤١ اصيب بضربة خفيفة من الشلل طلب النقل على اثرها الى باريس ، وفي ١٥ مارس ١٨٤٢ اصيب بضربة ثانية ، واصيب بالضربة المميتة في ٢٣ مارس . خلف (هنري) العديد من الكتب غير المنشورة ومنها « تذكار الانانية » و « حياة هنري برولار » وكتابات « بيوغرافية » تسجل تجاربه من باكورة طفولته ومنها نستطيع ان نتعرف على هذا الانسان ، فيما يحب وما يكره وغرامياته الشقية العديدة ومطامحه التي لم تتحقق. اما تواريخ طبع هذه الكتب (من ١٨٥٥ فصاعدا) فهي تشير الى تنامي احترام مواطنيه لكاتب كان من سوء حظه ان يكون واقعيا في عصر الرومانسيين .

الدولة والمجتمع في القصة

بعد عودة الملكية عملت حكومة لويس الثامن عشر على وضع دستور جديد لفرنسا باسم ميثاق ١٨١٤ . وكانت هذه محاولة للتوفيق بين اللبراليين والملكيين الا ان هذا القانون لم يرض متطرفي الملكيين الذين ارادوا العودة بالبلاد الى العهد القديم ، ولا الجناح اليساري من البراليين الذين ارادوا قيام جمهورية . وفي تصوير ستندال للحياة في صالونات متطرفي الملكيين اشارة واضحة يسيرة الى الميثاق . ولكن المجال مفسوح — في القصة — لاظهار مقت النبلاء لنظام الحكم الذي حددوه هم انفسهم . اما ستندال نفسه ، الذي كان لبراليا وليس دمقراطيا ، فيذكر « مصيبة الحكومات المنتخبة ... والقطر الذي له ميثاقه » والحرية التي تعطى (للحمقى) لتكوين الراي العام (ص — ١٦٥) وهذه الفقرة وغيرها من الفقرات

ـ في الكتاب ـ تؤيد وجهة النظر القائلة : أن هجومه على المجتمع لم يتوجه الى نظام معين من السياسة ، بل الى (صغار) الناس .

ومهما يكن من امر ، فقد ناجز بعض مظالم الحكومة وهذا ما يفسر تطاوله على (الغلاة) . لقد ضمن الميثاق حرية الفكر وحرية الصحافة بحدود معينة . ولكن هذا الاتفاق حطمته وزارة من الغلاة في اواخر حكم لويس الثامن عشر ، واصبحت الرقابة اشد عنفا تحت حكم تشارل العاشر (١٨٢٤ـ١٨٣٠) . ويحتوي الكتاب على شواهد عابرة عن الاجراءات التي اتخذت ضد الكتاب ومحرري الصحف : ومن ذلك سجن الشاعر بيرانجيه لاشعاره حول نابليون ، وسجن فونتان وماغالون مدة خمس سنين لنشرهما كراسة « تمردية » وهما من محرري الصحف اللبرالية ، وفي الكتاب اشارة لانتفاضة لبرالية (١٨٢١ـ١٨٢٢) ضد الرقابة وغيرها من التجاوزات على الميثاق وهذا ما هو معروف في شخصية الكولونيل كارون الذي يطلق عليه النار للاشتباه بكونه من قادة المتمردين (ولقضية دريفوس شبه بظروف اعتقاله ومحاكمته) .

وهذه الامور ـ في متنها الخاص المباشر ـ تفسر لنا ردود ذهن جوليان ، واذا ما اخذنا علاقتها بما سجله ستندال عن اعدام فالكوز ـ الذي هو في الواقع ـ فالكون، بائع الكتب في غرينوبل ، لتبين لنا مدى مقت المؤلف للمجتمع (٥) . ولنا ان نشير الى ان الناس قبل ١٨٣٠ كانوا يتأثرون من اي تجاوز على الميثاق ليس فقط الاحرار المعتدلين بل حتى الملكيين المعتدلين .

الكنيسة في القصة

يعطينا ستندال صورة دكناء عن كنيسة زمنه ، ولكن هذه الادعاءات مؤيدة من قبل شواهد كاثوليكية نفسها . فالتحالف « بين العرش والمذبح » تحالف طبيعي لسوء الحظ وهو نتيجة من نتائج الاضطهادات التي عاناها النبلاء ورجال الكهنوت على حد سواء في غضون الثورة . وقد تحول هذا الشعار ـ على عهد تشارل العاشر ـ الى اداة لضرب من الحرب المقدسة ضد اللبراليين (الملحدين) و (كما حدث كان الكثيرون منهم كاثوليك مخلصين) . فتأسست جمعيات دينية من اشراف الناس (خارج الكهنوت) وتحت ارشاده في المدن الكبيرة ، ومع ان هذه الجمعيات كانت تعمل ـ في الظاهر ـ من اجل مصالح الدين ـ الا انها ـ في الواقع ـ كانت تعمل كنوع من الشرطة السرية لصالح غلاة الرجعيين . ولـذا نرى الارساليات ، المتألف معظمها من القساوسة اليسوعيين ـ يجوبون المدن الرئيسة والاقاليم مبشرين بـ « الايمان الحق » و « التعاليم السياسية الصحيحة » .

ان اليسوعيين الذين ابعدوا من فرنسا سنة ١٧٥٧ عادوا اليها اقوياء بعودة الملكية ، لقد كانوا مدافعين متحمسين عن الملكية الاستبدادية وكان نفوذهم عظيما في (الجمعيات) . اما الجانسينيون فيكونون اقلية صغيرة من الكهنوت ، وهم يمتازون بوجهات نظرهم الهرطقية في بعض قضايا التعليم الديني ، ويعرفون بتقشف حياتهم ورفضهم مزج الدين بالسياسة . وقد كانوا موضع كراهية اليسوعيين خاصة وذلك منذ نشر جانسين (١٦٤٠) كتابه « اوغسطين » مهاجما فيه التعاليم اليسوعية والاساليب التي يلجأون اليها . ان ستندال يتقبل الراي الشائع بعدم الفرق بين المرائي واليسوعي . ولذا نرى القسسين الصالحين ـ في كتابه ـ جانسينيين .

وفي الكتاب اشارات الى الحزبين الرئيسين في الكنيسة الفرنسية وهما غلاة مؤيدي البابا ومؤيدي الكنيسة الفرنسية والاوائل تقبلوا سلطة البابا المطلقة في كل قضايا الدين واعترفوا بعصمته ، اما الاواخر ـ فتمسكا منهم بالاستقلال ـ اعترفوا بسلطة البابا في قضايا التعاليم الدينية ، ولكنهم لم يعترفوا بعصمته في الاحكام ولا بحقه في فرض ارادته على الادارة الكنسية ولا بتدخله في « الاعراف الغالية القديمة » كما حددها بوسيه في القرن السابع عشر ... قد تبدو هذه الاختلافات منازعات قديمة ، ولكننا يجب ان نعرف شيئا عنها كي تتغلغل في اذهان اناس الكتاب .

ملاحظة صغيرة اخيرة : كانت الكنيسة قبل الثورة تستدر معظم ثروتها من اراضي الغابات الشاسعة ، وبعد عودة الملكية تطلع رجال الكهنوت الى استعادة هذه الاراضي . الا ان التاج احتفظ بها لنفسه . والاشارة الى هذا الامر المؤلم موجودة في الاجتماع السري .

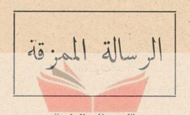
القانون في القصة

هناك ملاحظات قليلة تشير الى مجرى محاكمة جوليان. فالمدعي العام ، كما في اسكتلنده ، هو الذي يرفع الدعوى ضد المتهم . والمحلفون هم الذين يتوصلون الى قرار الحكم بالاغلبية . وعلى حسب القانون الجنائي لذلك العهد ـ تعد كل محاولة للقتل حتى اذا لم تنته الى الموت مستحقة حكم الموت . ولذا كان الحكم الذي صدر على جوليان شرعيا تماما . وكان احسن دفاع له الادعاء بالاستفزاز ، ولكن شعوره بالشرف كان ارفع من شعور انطوان بيرتيه . وباعترافه (بسبق الاصرار) لم يبق خيار امام المحلفين .. واذا كان الامر كذلك فعلى ماذا استند الاسترحام ، ان ستندال يترك هذه القضية غامضة ، ولعله ارادنا ان نفهم من الاسترحام استرحام ايقاف التنفيذ رحمة بشباب « جوليان » ...

يوسف عبد المسيح ثروة

اربيل ـ العراق





بقلم عدنان الداعوق

... وامتدت يدها وتناولت القلم بأنامل مرتجفة وقلب واجف، وجعلت تفكر في رسالة تبعث بها لحبيب العمر وفارس الاحلام .

ووضعت طرف القلم على شفتيها .. وكأنها تستحثهما ان تنطقا بكلمات تناسب عواطفها وتلائم مشاعرها واحاسيسها .

وطافت في افقها البعيد الغيوم.. وحجبت ستر الالهام واستعصى عليها الكلام ، واغلق دونها باب التعبير عما في خاطرها القلق ونفسها الشرود .

وطالت بها اللحظة وامتدت .. وهي ما زالت في جلستها تستجمع ما غاب عنها ، وتعيد الكلمة مرة اثر مرة .. حتى اذا ما تجمع في خاطرها بعض الكلام اسرعت الى الورقة تبثها الشوق وتحكي لها الحب والحرمان.. وتخاف ان تفلت منها العبارة وتهرب منها الكلمات ..

واخيرا جاءها الالهام .. فانغمرت فجأة في موجة الكتابة .. واسترسلت في التعبير عما اعتمل في فكرها وضج في صدرها .. وراحت تكتب :

« .. حبيبي ... كم فكرت في امر الحب العجيب .. كيف يجمع القلوب ويؤلف بين النفوس ، فيحيل الحياة الى سعادة كبرى غامرة ، ويجعل من المتعة البسيطة المسرعة فرحة تساوي العمر وتدوم مدى الحياة ..

ولشد ما استبد بي الضجر واستهواني ان اظل بعيدة عن كل الوجود .. وجاهدت لكي اظل بعيدة عن كل الناس .. فوجدتني افكر في وحدتي ، واقارن بين السعادة والشقاء .. ولست ادري لماذا لجأت الى هذا التفكير . المهم انني بكيت في ذلك اليوم بكاء شديدا ..

ولم ينفع البكاء .. ولم تنفع الدموع .. ولكنني ابصرتك فجأة من بعيد .. فتعلق نظري بك تماما، كالحالم عندما يتشبث باليقظة اذا ما قست عليه الاحلام ..

واقتربت مني فوجدت فيك ما كنت اتمنى وما حلمت به طويلا .. الوجه المشرق ، والبسمة الساحرة التي تزول امامها كل قوى الشر ومعاني الاسى ، ونظرت في اعماق عينيك فوجدت سر السعادة التي انشدها منذ الازل ..

وهمس قلبي دون ان تسمع : « احبك .. احبك .. احبك . » وتحولت صورتك الخاطفة الى واقع المسه واحس به .. فاذا انت قريب مني كل القرب .. واشفقت على نفسي من هذه السعادة المفاجئة ..

واقتربت مني في خطوة ثابتة ساحرة .. وهمست في اذني بكلمة حلوة ، فاذا انا طوع امرك ، وعرفت الحب الصادق في نظرتك الولهى .. وعرفت الهناء الحلو في قربك القريب ..

ووجدت نفسي ابكي ثانية .. سالت دموعي بغزارة ، ولكنها كانت هذه المرة عن فرحة وسعادة وليست عن حرمان والم مرير .

واحسست بأنني ولدت من جديد .. لقد كنت معدومة الحس فاقدة المشاعر لا ادري ما يقع حولي قبل ان اراك .. كنت اشبه بجماد يتحرك ولا يدرك من امره شيئا . واذا بي فجأة انفجر حسا وشعورا دافقا وعواطف جمة .

وعشت واياك يا حبيبي اسعد ايام عمري ... اينعت ايامي بصحبتك ، فازهر القلب وتفتحت النفس وابصرت الوجود ضاحكا مبتسما .. وقد كان من قبل عابسا جافا .

حبيبي ... لقد ذكرتك بالامس وتقت اليك .. وتمنيت لو تكون بجانبي تبدد عني وحشة الوحدة والم البعاد .. وحمدت الله ان ملكت خيالا سبح بي على جناح ساحر فوق السحب .. وتبددت وحشتي رويدا ، ولمحت هناك .. في العلاء ، وبين النجوم اللامعة المشرقة وجهك يبتسم لي بزهو وعزة .. وكأنك ملاك في هيبتك ونورك وابتسامتك .

واستيقظت من احلامي اللذيذة.. وتمنيت الا افتح عيني بعد رؤيتك في الاحلام .. وان اظل مطبقة جفوني على صورتك المتبقية من خيال بعيد .

واجبرت نفسي مرة بعد مرة ان اراك في الخيال بعد ان حرمني الواقع المر من رؤيتك .. فطافت خيالاتي ثم عادت ، واستحالت بعد فترة اخرى الى يقظة جارحة مؤلمة . وعلمت انه تفصلني عنك ابعاد لا استطيع تقريبها . وتمنيت ان اكون بقربك اي شيء ، حتى ولو كان تافها لا قيمة له ..

سأكون اسعد مخلوقة في الوجود اذا ما ضممت يدي في يدك القوية الصارمة .. وضغطت على اناملي بقوة هائلة اتأوه لها .

وكم سأشعر بالهناء اذا ما لمحت قوتك وعظمتك تتمثل في كل انتفاضة من انتفاضاتك .. فاذا انا جارية لك .. واذا انت ملكي تفعل بي ما تشاء .. وتهدم حياتي ، وانا مسرورة ، اذا ما خطر لذهنك اي خاطر .

حبيبي... تمثلتك بالامس فارس الاحلام قدمت على جوادك الذهبي المختال ، وانت في ثياب ملونة زاهية .. قدمت الي من اقاصي

بطاقة حب

يا منية الشوق الذبيح ، وحلم وعد سرمدي
جن الهوى بزنودنا اللهفى .. فلا تترددي
هاك الضلوع .. توسدي .. وبمقلتي تمددي
قصي حكايات الجمال .. فان تلاشت جددي
اخشع لها كالطفل او كالراهب المتعبد
وتوغلي بين الشغاف تري مكائد حسدي
وتري بقلبي من جراح الحب ما صنعت يدي
وتريه يحلم بالخلود على شفاه الموعد
رغم الحرائق ما يزال يحب نار الموقد

* * *

لا تخجلي .. في الحب سر الطيب .. فلنتزود
كم بلسم الحب الجراح ، وكم جلا القلب الصدي
الحب .. يا همس النسيم وبوح جوري ندي
الحب .. يا مطر القلوب مواسما لم تنفد
الحب .. يا سر الالوهة في فم متورد
الحب .. يا للحب ! ذوقي الحب .. لا ترددي

درعا ـ سورية — زاهي القائد

البلاد وابعد القصور لتراني وتقع في غرامي .. فأركب خلفك على جوادك المذهب وننطلق الى حيث لا نرى احدا .. فاذا العالم ملك لنا وحدنا .. ونعيد من جديد اسطورة الخليقة يوم كان آدم وحواء وحدهما يعيشان معا في هذا العالم الواسع الجميل .

وتأبى علي الخيالات ان تسترسل وتصور لي سعادتي قبابا شامخة وتلالا ساحرة ، واقف مذهولة امام اليقظة المؤلمة ، فأجدك ما زلت في نأي وبعد عني .. والى لقائك الف طريق طويل والف حكاية ..

وانشد قربك فلا تزيدني اللهفة الا بعدا وتحرقا وهياما .. ولكنني اعود فأتذكر قسمك الذي اقسمت في المنام .. الا بد ان تعود .

اجل ، لا بد ان تعود .. لانني انتظر عودتك ، لتبدد الظلمة المخيفة التي اعيش فيها .. وتزيل من طريقي الاشواك المدمية التي تجرح قدمي ..

متى ستعود يا حبيبي ؟ لقد طالت غيبتك .. تعال الي .. تعال لتملأ حياتي نورا ، وقلبي بهجة ، ونفسي سعادة وهناء .. »

وانتهت من رسالتها ، ونظرت اليها ، ثم وضعتها في مغلف ازرق جميل فاحت من داخله رائحة عطر مخبوءة تفضح سر الرسالة قبل قراءتها .. وطبعت على الغلاف قبلات سريعة لهفى .. واحكمت اغلاق الغلاف .

واستقر القلم فوقه لا يتحرك . ولم تكتب شيئا لانها لا تجد الاسم .. والعنوان .

وكاد يغمى عليها .. وعلا من اعماقها سؤالها الحائر .. :

« لمن كتبت الرسالة .. ومن هو فارس الاحلام وحبيب العمر ؟ »

وتكشفت حقيقة نفسها امامها ..

انها ظامئة للحب .. تريد ان يكون لها حبيب تفكر فيه ليلا طويلا وتكتب له الرسائل الزرقاء الفواحة العطر .. انها تبحث عن أي حبيب لتكتب له مثل هذه الرسائل .. وجمد نظرها فوق الغلاف .. وان هي الا لحظات حتى راحت اناملها تعبث بالرسالة وتمزقها في عصبية وجنون الحرمان .

حمص — عدنان الداعوق

شهيد الواجب

الى الذي نصب له تمثال في بلدته لانه خر صريعا في ساح الشرف ، وهو يردد : ليحيا وطني .

ذهب الى القرية الضائعة
في جرود الجبل
حيث نشبت المعركة الضارية
ليشتت مع جنوده جموع العصاة
ليعيد الامن والطمأنينة

ذهب مع الفجر وتباشير الصباح
تغمر عينيه ابتسامة الواثق
وفي الدرب الطويل
كان يحث الرجال
على خوض معركة الابطال
ثم انشد معهم الاناشيد الحماسية
قبل ان يسمعوا اناشيد الرصاص

لم يكن يدري
قبل ان يصبح في ميدان القتال
ان الرجوع الى معسكر النضال
موصود الباب
من ساحة المعركة الضارية
لم يعد البطل مفتح العينين
عاد من معركته محمولا في نعش
على اكف الرجال
لقد ناله رصاص الثوار
في صدره الطويل
وكان في الطليعة من رجاله
شأن البطل المغوار

راح في عمر الزهر والريحان
في الرابعة والعشرين ربيعا
حاصره الثوار وهو يهتف بهم :
« ايها المتمردون في أعلى الجبل على القانون
ايها الهازئون بمناقب الاجداد
لم اجيء الى دياركم
لاغدر بالاطفال
فانا احب الاطفال
ولم احمل سلاحي
لاقتل الابرياء
واخلف ورائي الدمار

حملوني السلاح
لنصرة الضعيف
وحفظ الامن
واقرار السلام
فارموا سلاحكم ايها الرجال
واستنجدوا بالقانون
وسيروا في مواكب النور
واهتفوا بحياة امتكم
ارموا سلاحكم
وفكروا بمصيركم المظلم
ومصير العيال
فانتم من هذا الوطن الجميل
وطني ووطنكم
انتم اخوتي ولو اعتصمتم في أعلى الجبل
وحملتم اسم الثوار »

ولكن الثوار بقوا في ضلالهم
ورفضوا الانصياع لاوامر الضابط المغوار
واطلقوا عليه الرصاص
فوقع على الارض امام اعين الرجال
ومنه نزف الدم البريء
وغسل ارض الاجرام
فزار جنوده الصناديد وهتفوا :
« ايها القائد الشهيد
نحن لن نترك ميدان القتال
قبل الانتقام
ولن نبكيك
لاننا لا نبكي الابطال الشجعان
وقاسيا سيكون الانتقام
ولن نرحم اعداء البلاد »

وانطلق الجند في هجوم مركز
وشتتوا جموع الثوار في جرود الجبل
حيث القرية الضائعة
وانتقموا لقائدهم الشاب
ونقشوا اسمه على لوحة الشهداء

ابراهيم عبده الخوري



لورنس والعرب – وجهة نظر عربية

تاليف سليمان موسى – ٣٠٠ صفحة تقريبا – حجم كبير –
(لم يذكر الاستاذ العامري اسم المطبعة)

اهدى الي الاديب الاردني المعروف الاستاذ سليمان موسى كتابه الجديد « لورنس والعرب – وجهة نظر عربية » . وقد سعدت بالهدية التي اتاحت مطالعة شائقة في وقت مبكر بالقياس الى انتشار الكتاب في الاسواق . والكتاب ذو حجم كبير وتزيد صفحاته على ثلاثمائة .

ولقد قدمت في السابق في اكثر من مناسبة لموضوع لورنس في هذه المجلة العزيزة تقديما يوحي بطرافة الموضوع عندي وجاذبيته لدي . فكتاب الاستاذ سليمان انما يهيىء فرصة محببة لي ولا ريب ، وارجو ان تكون كذلك لقراء « الاديب » الكرام . هذا اضافة الى اهمية الموضوع ، اذ هو يرتبط بالثورة العربية الكبرى ، التي تعتبر المظهر الثاني في تاريخ العرب الحديث لوحدة هذه الامة وتطلعها الى الحرية والمجد . اما المظهر الاول والاكبر فهو بالطبع البعث النبوي بما اثار من شعور قومي ووطد من شخصية منفردة .

ولقد جاء اهتمامي سابقا بلورنس واثره من ملاحظتي للفشل الذي لقيه عدد من الشباب النبغاء من الانجليز الذين خرجوا من الحرب العالمية الاولى ، وقد مادت بهم الدنيا وتزلزلت تحت اقدامهم القواعد ، فتبدد ذكاؤهم الحاد وتفرقت نفوسهم القوية ، على الرغم مما كانوا يتمتعون به من عبقرية نادرة ورغبة صادقة في اصلاح الامور التي رأوا فيها عائقا للحضارة البشرية او مصدرا من مصادر فنائها .

وانا اذكر دائما مع لورنس (ولهذا اتبع تسمية « لورنس العرب ») د. ه. لورانس ، الاديب الانجليزي صاحب رواية « عشيق اللادي تشترلي » وغيرها من الروايات الباقية ، للسبب نفسه ، اذ ينتمي هذا الاديب ايضا الى طبقة الشباب الانجليز الذين ختلت عقولهم مظاهر المدنية الصناعية الجائرة المعقدة والاستعمار الجارف القاسي فارتدوا الى نفوسهم حيارى لا يدرون ما يصنعون ، فذهبوا وقد كتب لهم الخلود ، دون ان يصعب على كاتب مثل ولسن الان او كالدويل من قبل ان يسلك هذه الطبقة من النابغين في الفاشلين المنهزمين .

وفتنة الكتابة او المطالعة عن لورنس العرب (تي. اي. لورنس) هي الناحية الشخصية الخلقية والفهم السياسي الاجتماعي الذي أحال مثل هذا الرجل العبقري الى رجل فاشل . ولا تحجب هذه الناحية ضخامة الثورة العربية الكبرى التي قادها الملك حسين بن علي رحمه الله ، فان هذا الحدث التاريخي في ذاته ذو جوانب فتانة في تاريخ العرب الحديث تذكر المرء الى حد بالفتوحات العربية في هذا الجزء من عالمنا العربي ، كما تذكره برجاله وابطاله .

ومع ان عنوان كتاب الاستاذ موسى هو « لورنس والعرب » فان محيط الكتاب الشامل لم يقتصر على لورنس نفسه ، وانما تناول الثورة العربية الكبرى بقيادة الحسين منذ شبت نارها الى ان نشأت هذه الدول العربية الحديثة ، ونشأت معها هذه البؤرة الصديدية الاليمة ممثلة في « اسرائيل » . ولكن ما ان يستعرض المؤلف الاديب صورة من صور الثورة في اثناء الحرب العالمية حتى يعود الى لورنس ليضعه في مكانه من هذه الثورة دون زيادة او نقصان في نظره . ولهذا كان للكتاب امتاعه كمطالعة تقرن حوادث الثورة الهامة الى تحليل شخصية رجل بطل غريب ، كان له فيها شان ، وانتهى أمره منها الى شان اخر .

ولا يهدف كتاب الاستاذ موسى الى دراسة الثورة العربية ، فله في هذه الثورة كتاب وفاها حقها حين كتب منذ سنوات كتابه « الحسين بن علي » ، ولكن هدفه هو هذا الذي أشرنا اليه ، ان يجرد الخيال عن الحقيقة ، فيضع لورنس في الموضع الجدير به من تاريخ الثورة ومن تاريخ العرب ، وربما من تاريخ الرجل نفسه .

فهذا التجريد الذي حاوله الاستاذ المؤلف هو في الحقيقة مقالة الكتاب او موضوعه ، وهو احد ميزتين كبيرتين يمتاز بهما . اما الميزة الثانية فهي استقاء المؤلف معلوماته من مصادر عربية حية رافقت الثورة وشاركت فيها وروت احداثها . واني افضل في عرضي هذا ان افرغ من بحث الميزة الثانية قبل ان أتوسع في الميزة الاولى التي هي في الواقع أحب الي وأكثر معنى .

لقد اعتمد المؤلف في وضع لورنس موضعه من الشخصية والتاريخ رجالا مثل فايز الفصين ونسيب البكري وعوني عبد الهادي وعضوب الزبن وسعيد الجزائري ومحمد علي العجلوني ومحمد ابو تايه والشيخ تركي المفلح وغيرهم ممن كانت لهم صلة بلورنس ، كما اعتمد مصادر عربية مثل مذكرات الملك عبد الله وطاهر العمري وأمين سعيد وحافظ وهبة ونوري السعيد واحمد قدري وفايز الفصين وغيرها . وهذه المصادر العربية ، حية ومذكرات ، لا يعتمد عليها الكتاب الاجانب حين يكتبون عن الثورة او عن لورنس ، وهي نفسها التي جعلت لكتاب المؤلف الكريم هذا التوازن الملحوظ الذي لا نجده في كتب الاجانب ، والتي جعلت كتاب مؤلفنا في مصاف هذه الكتب ، بل ربما رجحت عليها في أسباب الفكرة الصحيحة اللازمة عن هذا الموضوع الجليل .

ومن الطبيعي ان تبرز هذه المصادر قيمة الثورة العربية الكبرى ، فليس الامر ان لورنس كان « ملك العرب غير المتوج » ، وليس هو ذهبا بريطانيا وزع في الصحراء فخلق الثورة العربية او مكنها من النصر الذي ظفرت به ، وانما هو على حقيقته الاساسية « وجهة نظر قومية عربية واضحة » ، فلقد اعلن الحسين الثورة باسم الامة العربية ولتحقيق وحدتها واستقلالها ، وتعاهد مع حكومة بريطانيا ... باعتبار ان المصلحة المشتركة تجمع بين الامتين » ، كما قال المؤلف . وقد يبدو هذا القول ضعيفا للذين يرون في الحوادث الفردية او الاشخاص ما يخلق الامم ويرسم تاريخها . ولكنه القول الوحيد حين يعرف المرء كيف تتطور الامم في الاكتشاف الاجتماعي التاريخي الحديث . فالملك حسين بن علي كان امامه حاجز كبير من « الخلافة الاسلامية » الموروثة في الاتراك يومئذ ، وهو المسلم المتدين ، ورجال العرب النابهون الزعماء كانوا في غنى عن الاستهداف للعذاب والاضطهاد والموت على يد غلاة الاتراك التورانيين . ولكن الشعب العربي كان يئن تحت نير الاستعمار التركي وجهالته . وكان محروما حياته الاولية حين بدأ الناس في بعض اقطار الشرق الاقصى واقطار الغرب يقطفون ثمار المدنية الحديثة علما وثقافة ورفاهية . وكان زعماء العرب انفسهم من طليعة النهضة في هذا القرن يئنون كما يئن الشعب ، ولكن على مستوى اكثر حساسية ودقة ، مستوى يتناسب مع عطف الزعيم ازاء مطالب العامة وحسه . ولولا زعامة الحسين التي تمثلت فيها امال الامة في ذلك الحين

وتشخصت ، لما أحس باي دافع للتضحية والموت في تلك السبيل الوعرة الصعبة . هذا الحال نفسه هو الذي شجع ساسة الانجليز يومئذ على الاتصال بالحسين والتفاوض معه . وتقاطر الزعماء العرب والشباب الناهضون الاذكياء فقادوا الناس ووجهوهم . وتقاطر معهم فيمن تقاطر لورنس وغير لورنس من النابهين والعسكريين .

هذا من ناحية التحليل العلمي لدوافع الثورة العربية . والتحليل الواقعي يؤيده . وكتاب الاستاذ سليمان موسى مليء بأسماء الشخصيات العربية ، العسكرية وغير العسكرية ، التي انخرطت في الثورة وضحت في سبيلها . واول هؤلاء هم ابناء الحسين واقرباؤه ، ويتلوهم رعيل كان يرابط في اجزاء الوطن العربي من العراق الى سوريا ولبنان ، الى فلسطين والاردن والحجاز ، يتصل بالملك وابنائه ، ومنهم رعيل اندفع الى قيادة غزوات الثورة وحملاتها ووقائعها ، مثل جعفر العسكري وعلي رضا الركابي ومولود مخلص ومحمد علي العجلوني وصبحي الخضرا وعزيز علي المصري وغيرهم .

أما المال الذي انفق الانجليز على الثورة العربية فيتعرض له المؤلف ولا يتناسب في ضآلته مع التضحية التي ابداها العرب في القتال . قال السير رونالد ستورس « كانت النقود الذهبية التي ارسلها الانجليز أقل من ١٠ ٪ من مجموع النفقات التي أنفقوها على الثورة العربية التي بلغت قيمتها حوالي ١١ مليون جنيه ... وكان مجموع ما دفعوه نقدا أقل من مليون . أما الملايين العشرة الاخرى فتمثل العملية العسكرية والاعتدة والمؤن وغير ذلك من لوازم وخدمات » . وقد تسامح المؤلف فقدر ذلك المبلغ النقدي بنحو مليونين . هذا ويقدر الجنرال ويفل ان بريطانيا أنفقت في ميدان الحرب الشرقي ٧٥٠ مليون جنيه .

* * *

ولنعد الى الوضع الذي وصفه الاستاذ المؤلف للورنس في كتابه . انه على ما اعلم وضع جديد لم يسبق اليه المؤلف ، الا في شذرات وردت هنا وهناك ناقدة للورنس متنقصة له . ولقد قرب المؤلف شخصية لورنس التي أخذت تصبح أسطورة الى شخصية الرجل الذي وان كان يتمتع بحدة الذكاء و « صلابة الجسم وقوة الذاكرة والقدرة على احتمال المكاره » فقد كان عنده مبالغا يعزو لنفسه ما ليس له ولا يسرد الوقائع بصورة حاسمة ، بل يمتاز بالميوعة وذكر انصاف الحقائق وتقديم التلميحات والاشارات هنا وهناك حتى يصعب تكذيب أقواله في المستقبل . وهذا أقل ما في الامر ، اذ هو احيانا صهيوني وقح وقاحة لا تطاق ، واحيانا ينغمس في الشذوذ الجنسي ... الخ .

ولولا احساسي بأن المؤلف الفاضل قد طلع منذ بداية كتابه القيم بفكرة شبه جاهزة لان يصور لورنس تصويرا معينا محددا يخفف من غلواء الفكرة العالية التي كونها لورنس عن نفسه والتي شهد له بها الكتاب الغربيون – اقول لولا هذا الاحساس لرأيت معه بانه قد نفذ نفوذا تاما الى شخصية لورنس وحقيقته والى اثره في الثورة العربية. وقد تخلى المؤلف عن طرفي المغالاة في وصف لورنس فجاء عنده «أديبا من طراز رفيع لا سيما في تصويره الرائع للاحداث وقدرته على الوصف وسعة خياله وامتلاكه ناصية التعبير . » وهو عنده ربما كان « المثقف الوحيد بين رجال الثورة » ، كما انه « الرجل الذي كان يخدم بلاده ويعمل لصالحها .. وقد تحلل من تقاليد الحضارة فلم يكن يهمه كثيرا لون الاكل او نوع الفراش ، وسواء لديه أقضى ليلته في بيت أحد الشيوخ او في الخلاء مع اكثر الاعراب بؤسا . وكان غريبا ان ترى هذا الفتى الانجليزي الاشقر يتجول وحيدا في بلاد لم تكن تعرف معنى الامن يومذاك » . واعتقد ان المؤلف حين اورد وصف الدكتور عبد الرحمن شهبندر رحمه الله للورنس فقد وافق عليه ، اذ قال الدكتور : « ضابط قصير القامة ، اشقر اللون ، ذو رأس كبير وجسم حقير ووجه مستطيل وعينين زرقاوين تقدحان نارا ، ومشية لا يكاد صاحبها يمس الارض . فلما تحادثنا وجدناه لا يلمح وجهينا الا خطفا ، وهو يتكلم بهدوء يشبه الهمس ، ويختصر كلامه اختصارا يدعو الى الحذر ، ولكن فيه من الدقة والتعمق وانعام النظر ما يدل على عقل راجح واحاطة بالموضوع » . ويقول المؤلف : « ولا يشك أحد بذكاء لورنس والمعيته ونشاطه ، سواء في ذلك المعجبون به والشانئون له . ولكن الشكوك تنصب على الكثير مما ادعاه لورنس لنفسه من طراز الامثلة التي مرت بنا والامثلة التي ستزداد في العامين الاخيرين من الحرب اللذين قدر للورنس ان يعمل خلالهما مع العرب في ثورتهم . وهو عند المؤلف ، وهذه من اعمق النظرات التي أصابت فيما اظن الهدف ، من ذوي الطبائع الثنائية الذين لا يستقرون على حالة نفسية واحدة ، فهو من جهة خيالي طموح ، وهو من جهة أخرى انسان مثقف مرهف الحساسية».

* * *

أعتقد انني قد لخصت بما اقتبست موقف المؤلف من لورنس . ولكن المؤلف الكريم قد تعرض لي في مطلع كتابه حين قال انني وصفته (أي لورنس) فيما كنت قد كتبت عنه بانه « صديق العرب » ، وانني قلت ان « نظرتي في الرجل انه بطل لا دجال وانه فتش عن الاخلاق التي تعجبه وترضيه فاقبل على الشرق واختار منه بقعة ذات سابقة في الحضارة وذات شعر وخيال وسماحة خلقية ، فاحب العرب » .. الخ .. والمؤلف هنا يستشهد بمقالتين كنت نشرتهما عن لورنس فذهبت فيهما مذهبا اخر فيما يتعلق بشخصية لورنس نفسه ، وليس في مبلغ ادعائه او نصيبه من ثورة العرب . وهو تحليل أومن به ويكاد يكون حجر الزاوية في التوصل الى حقيقة الرجل . ان لورنس نفسه ليعترف بهذه الشخصية المزدوجة ، وهي مظهر معلوم في علم النفس الحديث ، ويعبر عنها على الاقل تعبيرا صريحا في اكثر من مكان . وفي هذا الازدواج النفسي الذي حيره دون ان يغلب ناحية على أخرى ، ضاع الرجل العبقري وبان فشله ومات مبكرا او انتحر . ان هذه الصورة في الغالب هي التي توضح لنا ما قام به أم أخطاه من عمل ، وما تبدى به او خفي من نجاح او فشل .

فلورنس قال عن نفسه ما يلي ، وهو ما ننقله بالحرف عن «أعمدة الحكمة السبعة » : « لقد ذهبت ارادتي واصبحت اخشى وحدتي ، لئلا تعصف ريح الحوادث او القوة او اللذة بنفسي الفارغة . »

وقال : « ان موت الانسان هو اخر مظاهر حريته » .

وقال : « لقد رأيت السعادة في سيادة المادة ولكني لم أستطع الخضوع لهذه المادة » .

وقال : « لم يؤخرني عن الانتحار العقلي الا الضعف ، وهذا الانتحار عملية بطيئة تخنق في النهاية هذا الاتون الذي يضطرم في دماغي » .

وقال : « اذا اردت الحقيقة ، فاني لم أحب (نفسي) ، هذه التي كنت اسمع وأرى . »

ويتلخص ما يلمح القارىء من هذه العبارات وامثالها في الصورة التي عجز بها لورنس عن فهم الحضارة « المادية » الجديدة ، وكيف كانت نفسه خاوية ازاء الحوادث الجارية التي حملته على كره نفسه وعلى ان يجد في الموت راحة او مظهرا من مظاهر « الحرية » .

هذه المناجاة وامثالها هي مفتاح شخصية لورنس . فالرجل كان على حرف الحياة من الناحية النفسية والوجودية ، تتارجح به الى ناحية فاذا هو رجل تعاسة وألم وتتارجح به الى أخرى ، فاذا هو يتحدث عن عظمة نفسه . قتله تعقيد الحياة مرة وانقذه الى قمم المجد أخرى .

ولقد قال ايضا عن عمله مع العرب : « لقد كان التزوير في عملي يخزني .. وكنت دائما شديد الخجل من نفسي » ... « وكان علي ان اشترك في المؤامرة » ... الخ .

ذلك جانب الموت من نفسه ، فاذا عاينت جانب الحياة قال لك :

« كان هدفي (من الثورة العربية) ان اخلق امة جديدة واستعيد سلطانا ضائعا لاقدم لعشرين مليونا من الساميين أساسا يبنون عليه قصور أحلامهم التي أوحتها أفكارهم الوطنية . »

وكانت طريقه لخلق هذه الامة :

« وعزيت نفسي بأمل ان قيادتي العرب الى النصر النهائي يمكنني من توطيد مركزهم ، والسلاح بيدهم ، الى درجة تدعو الدول الكبرى الى حل قضاياهم حلا عادلا » .

وقال عن هدفه من هذا « الخلق » :

« منذ فجر الحياة كان العرب يقذفون انفسهم في امواج على شواطىء الحس والحياة . كانت الامواج تتكسر ، ولكنها كانت كالبحر يذيب شيئا من الصخر الذي كانت تتكسر عليه . وفي يوم من الايام في المستقبل البعيد يمكن ان تتحدر الامواج دون عائق فوق المكان الذي كان العالم المادي يتبوؤه فيمشي الاله على وجه تلك الحياة . « (هروبه من الحضارة المادية الى الحضارة الروحية) .

وقال يتحدث عن اندفاع العرب واثارته هو لهم :

« ولقد اثرت انا احدى تلك الموجات وارتفعت بها على متن فكرة حتى بلغت الموجة قمتها ثم انحدرت فوقعت على دمشق . »

ولسنا نبحث عن « غرور » لورنس في هذه الاقوال وانما تهمنا بذرة الجانب الايجابي من نفسيته . ولولا انه غالى في هذه الناحية واساء فهم النظام الاستعماري الذي كان يعمل في وسطه لكان الى جانب عبقريته ناجحا .

لذلك قد يرى القارىء الكريم ، وكذلك مؤلفنا الفاضل ، معنى ما قلته منذ نحو عشر سنوات عن الرجل :

« ان اصح نظرية يمكن الركون اليها في تفسير حياة هذا الرجل المغامر صاحب العزم هي انه كان بطلا من الابطال بالمعنى القديم المألوف من معنى البطل ، وهو انه رجل احس النقمة على حاضره لانه لم يجد في هذا الحاضر غناء واحس في نفسه هاجس الثورة على هذا الحاضر وتغييره والسير في طريق جديد يختلف عنه ، واستعمل لبلوغ هذا الهدف البعيد مادة الامبراطورية البريطانية التي امده بها رجال هذه الامبراطورية اثناء الحرب ، والمادة والانسانية العربية الطامحة الى وضع افضل لمستقبلها ، ففرضي رجال الامبراطورية عن برنامجه لانهم عرفوا انهم يستطيعون ان يقفوا بالبرنامج عند حد ، ولعلهم عرفوا أيضا ان البرنامج نفسه كان محدودا بهدف الحياة المقلوط الذي آمن به لورنس ، ورضي العرب أنفسهم عن برنامج لورنس الذي وجدوا في اتجاهه مسايرة لاتجاههم الصحيح في اطراح نير الحكم التركي والخروج منه الى وضع من الاستقلال يسمح لكفايتهم بالظهور ولاهدافهم بالتحقق .»

عمان **محمد اديب العامري**

•

نجوم لا تحصى

مجموعة قصص ـ تاليف فاضل السباعي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الحياة بيروت ـ مطابع دار مكتبة الحياة ببيروت

ما زالت الامنية الانسانية المحور الكبير ، تدور حوله معظم اعمال الشعراء والادباء في العالم . والامنية على اتساع اطرافها تتلخص في (رغبة) يلحقها (رد فعل) ، ومن الناحية الادبية تستوي الامنيات عند الكاتب في أهميتها ، فرب رغبة طفل في خوخة تعادل في قيمتها الفنية رغبة شعب في سلام .

والامنية رد فعل نفسي له قيمته وقدسيته ، وبقدر ما هي ظاهرة مادية بقدر ما هي لمحة شاعرية يتصيدها فارس الكلمة بمهارة لتكون ملحمة ينتظمها عقد تاريخه الفني . والحساسية اللاقطة للكاتب تحدد مدى اختياره لنوع الامنية ، ومن هذه الناحية نستطيع ان نعرف مدى الامنية عند شعب ما ، وان كانت هذه ترتبط ارتباطا وثيقا بالنواحي المادية البحتة .

وقد تنفرد الامنية في الادب فتصبح جمالية خالصة وذلك عندما تلح على الكاتب امنيته في ان يثير الجمال فحسب في نفوس قرائه ، الا انها تبقى في جوهرها مرتبطة بالكون الواسع لمدلول الامنية عند الانسان.

وعندما يأتي الحديث عن الامنية كقضية انسانية شاملة ، لا بد آنذاك من تلمس وجهيها المشرق والمحزن ، او باللغة العلمية طرفيها الموجب والسالب . ومهارة الكاتب تتجلى في التقاط الحركة في لحظة ما لتقديمها في العمل الفني .

فجوجول لا شك ذو عين واسعة كان باستطاعتها تسجيل اشياء كثيرة ، ولكنه عندما اختار « اكاكي اكاكيافتش » بطلا لقصة « المعطف » أثبت براعة هائلة في التقاط الامنية المتواضعة وجعلها عملا من اروع الاعمال الادبية في العالم . فباشماتشكين ـ وهذا لقبه ـ المجدور الوجه والمقرور الجسد يتمنى طوال حياته معطفا من الفرو يدثر به ، يناله ، ولكنه يفقد حياته . وتشيكوف عندما يصور « سائق العربة » في حالة توتر شديد من الرغبة وهو يتمنى انسانا ما يهمس في اذنه مشاكله ، ولكنه لا يجد سوى حصانه مستمعا جيدا ، ان تشيكوف في تصيده لتلك اللحظة لخص المأساة الانسانية الشاملة في امنية الفرد ان يتخلص من وحدته .

وساروبان يصور « يوليسيس » الطفل متمنيا على الله ان يجيب دعوته وهو يرقب القطار فيرد عليه تحيته احد من ركابه . ان ساروبان يلتقط تلك الامنية جد الصغيرة ليجعل منها قضية من اهم القضايا في رواية « الكوميديا الانسانية » .

لا شك بان قضية الوجود والقلق تبتدأ من احد ذينك الوجهين لتنتهي في الاخر . ولما كان القلق نابعا من وعد الانسان لنفسه او لغيره بتحقيق شيء ما ثم الخوف من الا يتحقق ذلك الوعد ، لادركنا اذن اهمية الامنية في الادب ، تلك الحالة النفسية التي يقف فيها الانسان امام نفسه واعدا اياها بتحقيق حلم ما ، خائفا من ألا يتحقق ذلك الحلم .

والادب العالمي وبالتالي العربي يزخر بنماذج عديدة من الاماني ، وقد كانت لفاضل السباعي ـ مؤلف « نجوم لا تحصى » الكتاب الذي صدر اخيرا ـ الفرصة في ان يكون من عداد كتاب «الاماني» ، عندما جعل

من الامنية خطا ربط قصصه القصيرة الخمس بعضها الى بعض ، حتى عنوان كتابه فيه امنية الكائن المترصد عد النجوم ، ولكن النجوم لا تحصى ..

وفاضل اذ يعمد في قصصه الى الواقعية المحلية ينتزع منها شخوصها ، يرتبط بالامنية التي تحيط بجوه ايما احاطة ويعبر عنها باصالة من عايش الناس وكابد مشاكلهم وحزن من اجلهم ، حتى اذا بلغ به الحزن مبلغه تحصن بالكبرياء الشخصية فحول الحزن الشديد الى دموع غير مرئية ترتفع بالمأساة عن سوقيتها المعروفة لدى تجارها .

واود هنا ان اذكر ان الامنية في شكلها الفني تكون وجها من اوجه المأساة ، بل هي الصراع المأساوي وقد تحول بفعل العوامل المتشابكة عن الامنية نفسها وتولد منها . وعندما يجد البطل نفسه في صراع مع القوى الاخرى ، تكون تلك القوى النقيضة قد قطعت عليه الطريق لنيل ما يريده وما يبتغيه ، ومن المآسي اليونانية والهندية والصينية حتى يومنا هذا لم ينقطع ذاك الحبل الذي ينتظم الامنية الانسانية جنبا الى جنب مع الصراع البشري .

وفي السطور القادمة سنحاول القاء ضوء على قصص الكتاب الخمس آخذين في الاعتبار الاول قضية الامنية عند فاضل السباعي .

نجوم لا تحصى

وهي القصة الاولى والتي سميت بها المجموعة ، صور الكاتب فيها صبيا صغيرا يبيع الكعك ، اعاد الينا ذلك الصبي ذكريات الماضي البعيدة ، كيف كنا نبحث عن عمل في عطلة الصيف نقتل الوقت به ونربح منه بعض مصروف المدرسة . فالصبي في القصة شخصية ايجابية واقعية ، مليئة بالحيوية . يقول فاضل في بداية القصة : « ووقع نظره ، هناك عند الافق ، على نجمة كبيرة ذات ألق . وجدها تتألق في زهو . تمنى ان يقطفها . ما اشبهها بحظه من العمل . نعم ، انها الباص مورد رزقه . انها في اشعاعها وتألقها وزهوها ، تشبه الباص الذي يقطف من حواليه رزقه الوفير ، وحيدا لا يزاحمه منافس او غريم ! »

وقد بدأ الكاتب بالنجوم كرمز يدل على الامنية ، عد النجوم ، وكان انبطل صبيا صغيرا يمثل النماء والتطلع والبحث عن الاكثر والافضل ، صفة الانسان الطماح . وكان لا بد من نقيض لتلك القضية المركبة من امنية وبطلها . وكان النقيض بادىء الامر (آذنة في مدرسة) تبيع للصغار فاتى الصبي ينافسها ، حاربته فهرب . الا ان الغريم الحقيقي لامنية الطفل بالربح كان فتى يبيع الكعك في نفس المكان الذي كان يبيع فيه الصبي . وتنوس الامنية في ساحتها المتعادلة ..

قال الفتى يحذر الصبي : « اياك ان تحاول البيع هنا ثانية » . ويأتي التهديد محكا لاصرار الصبي على الاستمرار فيقول : « وما فيها اذا بعت معك ؟ » فيجيب الفتى في ضراوة : « اكسر رأسك ، واقلع عينك ، دون ان يشفع بك انسان ، هذا رزقي . اخرج ابحث لك عن رزق » . وتأخذ الامنية منحى اقتصاديا بحتا ، كتقاتل الوحشين في غابة على فريسة وحيدة . وتنوس الامنية بشدة . ويضربه الفتى فيغلبه ، ويعاتبه ابوه هادرا في غضب : « اضربه بكل ما اوتيت من قوة ، هذا الخنزير النجس ، رزق الله واسع .. » وتشتد عزيمة الصبي ويعود الى المكان دون خوف او وجل ، وكان لا بد للصراع القائم بين الطفل وغريمه من نهاية .

ان مشكلة الصبي والفتى متشابهتان ، وتلك صفة جيدة من صفات الصراع الانساني ، الا ان الكاتب مع الصبي ضمنا ، والقوة البدنية مع الفتى . وعندما يشتد نواس الامنية حتى حد التوتر نجد المعركة الفاصلة وقد اسفرت عن فوز القوة ، وهذا ما يريده الكاتب في قرارة نفسه ان يثبته ، ان النصر للقوة ، تلك الظاهرة المادية الغلابة الفاحشة ، التي تضع حدا للاماني .

« وأيقن الصبي بالهلكة ، عندما ارتفعت قبضة الفتى تسدد اليه الضربات المتلاحقة ، وهو لا يستطيع ان يبدي من المقاومة سوى الصرخات الذاهبات بددا ! » وتنتهي القضية المنطقية ، يموت بطلها ، تنتهي الامنية ، وتنحرف في نوسانها نحو القطب السالب ، الذي نكره .

اغلال صغيرة

يدخل الكاتب في هذه القصة ، قلبا انسانيا يشع بالرقة ، هو قلب رجاء المعلمة في مدرسة خاصة . وتبتدىء القضية المنطقية للقصة عندما « آن لها ان تتمرد » على مدير المدرسة « خمس سنين سفحت فيها ماء صباها في روضته ، تعلم له الصغار باخلاص ، فتتهافت عليه الاقساط يحملونها اليه اول كل شهر ، فلا ينالها وزميلاتها سوى الفتات ، اقل من نصف ما يقرره القانون لهن من اجور » . كانت تتمنى دائما ان يكون لها الكيان الانساني الخاص بها فتتحرر من عبودية صاحب المدرسة العابس الوجه والمقطب الجبين ، ويأتيها ابن الحلال لينقذها فيشتد ساعدها .

فالامنية هنا هي الخلاص ، ورجاء تقف امام غريم قاس هو صاحب المدرسة . وتنوس الرغبة خلال خمس سنين ، تناضل من اجل كيان ، حتى اذا واتتها الفرصة ، وحضر مندوبو الحكومة يحققون في الاجور ، تنتفض هي في حماسة القوي وتقول الحقيقة التي خبأتها خلال سنين ، وتنتصر الامنية وتنجذب الى قطبها الموجب . ويلاحظ في هذه القصة ان الامنية تأخذ منحى اقتصاديا كالقصة الاولى ، وتحقيق الامنية أو عدم تحقيقها متعلق بالوضع الاقتصادي لبطل القضية ، فرجاء لا تستطيع تحقيق امنيتها الا عندما يأتي ابن الحلال ليقوم هو بعبء المادة التي أذلت رجاء سنين طويلة .

لم تطرف العين

في هذه القصة تبرز قضيتان متوازيتان ، لا تتعارضان ، وبالتالي لا تؤثران على قوة القصة وتركيبها . فابو محمد عامل من حلب ، امنيته دار يبتنيها من ماله الذي يقتصده ، وهو محب لزوجه وولده ، يرقب الاوضاع الاقتصادية للبلد وعلاقاتها مع جيرانها المستوردة ، ويعاين احلامه على اساس من الاستقرار النسبي للبلد . اما ابنه محمد علي فامنيته تدور حول رغبته في ان يكون يوما مثل خاله المغترب في امريكا ، غنيا ، قويا ، تحوط سيرته هالة من البطولة .. وكان يتساءل احيانا : « هل يبلغ ابي في معمله ، ما بلغ خالي من توفيق في مهجره ؟ » ويحضر الخال في زيارة الى حلب ، وتبلغ الامنية عند الفتى محمد علي والاب العامل حدا من التوتر ، ولكن القطب السالب ينتصر عند الفتى. تنهار احلامه ، فخاله الذي ظنه مثالا يحتذى ليس الا متغطرسا ، تغلبت عليه قوى المادة فصهرته ، معدنته ، فاذا به يحاول ان يفصل اخته عن زوجها لمجرد انه عامل بسيط لا يجيد الحذلقة . ويرتمي الطفل في احضان ابيه يعلن له بصورة غير واضحة انه قد فشل . ويظل الاب يحلم بالدار ، ولكن الامنية لا تتحقق فهي بارتباطها الوثيق بأوضاع اقتصادية متذبذبة تظل في نوسانها الابد اللااستقرار ..

حادث في قصر السعادة

تكاد تكون هذه القصة لوحة اكثر منها قصة ، لوحة مليئة بالالوان النفسية تجعلها اقرب الى فصل من رواية طويلة . ويبدو احد الابطال هنا وهو (الشيخ جاسم بن علي التعبان) نزيل فندق (قصر السعادة) نموذجا للفلاح قليل المطامع ، فهو :

« سيشتري لخضرة (ابنته) ، في الغد ، ثوبا ازرق وصفا ذهبيا من عشر غازيات تزين جبينها يوم الزفاف ، وسيشتري لامها ثوبا ، ولسوف يعمل على شراء ثلاث بقرات حلوب تدر عليه اللبن وتحرث له

الارض . » ويبدو ان امنيته هي الاستقرار ، وان القارىء الخاطف للقصة يظن بعد ان يفرغ منها ان نقيض الامنية غير موجود وبالتالي فان القضية المنطقية للقصة مفقودة ، الا ان اللوحة الصادقة التي تتمشى داخل اطارها حوادث المكان والزمان ، تبين لنا ان سطح الفندق غير مسور وهو الذي كان سببا في سقوط الشيخ على الارض ، وعدم وجود السور هنا ما هو في الحقيقة الا رمز لعدم وجود الضمان الذي يكفل للشيخ استقراره ، وهذا الرمز القوي هو الذي جعل من التركيب المنطقي للقضية متكاملا ، وتظل امنية الشيخ مستمرة لانها الشعور النفسي الطبيعي للطبقة التي يمثلها الشيخ نفسه .

الاماني الحائرة

ان سامية ، بطلة هذه القصة او السوناتا ، امرأة لها قيمة في الادب الحديث لقصاصينا ، انها في كفاحها المطرز بقلق اصيل تاخذنا الى القول بان شخصيتها نموذج كامل للانسان العادي .

مات زوجها ، معيلها ، وخلف طفلين صغيرين ، وكان عليها ان تعمل. « كانت تجوس دروب الاماني ، بينا هي ممسكة بالابرة بين اصابعها تسير بها على اطراف الفستان في (تسريجة) تضافرت مع خيوطها السوداء شتات امانيها البيضاء » . « أتراه يباع ، هناك في الجمعية.. كما وعدوها ؟ » . وتنسج الامنية خيوط العنكبوت في اعماقها ، وتعيش على امل ان يباع فستانها في تلك الجمعية الخيرية فيفتح امامها مورد رزق يضمن لها ولابنائها البقاء .

وتعمل يد الكاتب في قلوبنا تكاد تمزقه لفرط الرقة التي داخلت حوادث القصة . انه يضع سامية على قمة التوتر حين يفاجئها بأن بيع الفستان قد اصبح مستبعدا ، ولكنه يضعها على قمة اخرى اشد توترا حين يتبين لها انها ستصنع منه عشرات للسيدات اللواتي اعجبن بالفستان .

ان القضية المنطقية للقصة قد بلغت من التماسك حد الروعة ، فامنية البطلة في ان يكون لها مورد ثابت من المال يناقضه ذاك القلق الوحشي ينهش من قلبها ، يجعل منها مثلا لرغبات كثير من الناس . واذ تنوس الامنية في مجالها المتعادل لا تلبث سوى مدة حدية وتميل نحو الموجب ، المشرق الجميل ..

ان من حق الكاتب علينا ان تكون لتلك المجموعة القصصية دراسة متكاملة ، ونحن اذا اخذنا المجموعة من زاوية (امانيها) ، نكون قد اهملنا الزوايا الاخرى . فقضية التركيب اللغوي للقصص ، والحوار ، وما الى ذلك من عناصر النقد الذي لم نخض غماره ، ليست الا انصافا حقيقيا للكاتب ، على النقاد يقع عبؤه . الا انه من الواجب ذكر الملاحظات الآتية :

١ - ان بروز التكنيك الروائي من ثنايا السطور يبشر بانتقال الكاتب الى المرحلة الروائية (وارجو ألا يظن بان الرواية مرحلة ثانية تأتي بعد القصة القصيرة) .

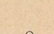
٢ - يلاحظ الصدق النابع من واقع الحياة المحيطة بالكاتب ، وهذا ما لاحظته ايضا في مخطوطته الجديدة ، واقصد رواية « ثم ازهر الحزن .. » ، من متابعة لذاك التصوير الصادق للحياة .

٣ - التشديد على أهمية العنصر الاقتصادي المكون لشخصيات الابطال .

٤ - الاعتناء باللغة والاسلوب الى حد يجعل من هذه المجموعة اقاصيص كلاسيكية رصينة ، وكذلك المعالجة الذكية لمشكلة الحوار باللغة الدارجة .

حلب — وليد اخلاصي

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

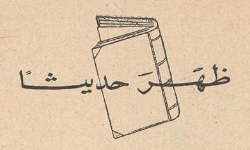
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Direct : 223819 Tél.
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان



● رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث ١٨٠٠/١٩٠٠ – تاليف الدكتور كمال اليازجي استاذ الادب العربي والفكر الاسلامي في الجامعة الامريكية ببيروت – ٢٠٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة رأس بيروت ببيروت – المطبعة المخلصية بصيدا لبنان .

● النبي – تاليف جبران خليل جبران – ترجمه عن الانجليزية وقدم له ثروت عكاشه – اللوحات بريشة جبران خليل جبران – الرسوم بريشة صلاح طاهر – ٢٦٠ صفحة تقريبا – تضم النصين الانجليزي والعربي – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● حديقة النبي – تاليف جبران خليل جبران – ترجمه عن الانجليزية وقدم له الدكتور ثروت عكاشه – اللوحات بريشة جبران خليل جبران – الرسوم بريشة صلاح طاهر – ٢٥٠ صفحة تقريبا – حجم كبير – تضم النصين الانجليزي والعربي – منشورات الناشر الحديث بالقاهرة – مطابع ناتو بالقاهرة .

● عيسى – (يسوع ابن الانسان) – تاليف جبران خليل جبران – ترجمه عن الانجليزية وقدم له الدكتور ثروت عكاشه – اللوحات بريشة جبران خليل جبران – ٢٤٨ صفحة – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● عوالم جديدة ومختصر علم الفلك – تاليف الياس بولس الخوري – ١٠٢ صفحة – مصور – مطابع ابن زيدون بدمشق .

● موت الاخرين – مجموعة شعرية – رياض نجيب الريس – مع دراسة بقلم جبرا ابراهيم جبرا – وضع تصميم الكتاب المهندس جورج غريب – ١٠٤ صفحة – منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت – مطبعة قلفاط بيروت .

● شعراء فنلنديون – تعريب سعد صائب – ١٢٠ صفحة – منشورات دار الثقافة بدمشق – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● هيولى – لشاعر هولندا اختربرغ – تعريب سعد صائب – ٤٨ صفحة – منشورات دار الثقافة بدمشق – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مأساة اسرة – تاليف جيمس آجي – ترجمة محمود عزت موسى – مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي – ٤٠٤ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● مغامرات مؤرخة في ادب التراجم – تاليف كاترين درينكربوين – ترجمة محمود عزت موسى – مصمم الغلاف امين لبيب رزق – ٢٨٠ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) – مطبعة مصر بالقاهرة .

● جسم الانسان – تاليف برنارد جلمسر – ترجمة الدكتور صلاح الدين سلامه – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٠٢ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر بالقاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● المنطقتان المتجمدتان الشمالية والجنوبية – تاليف ارمسترونج سبيري – ترجمة عمر كامل الوكيل – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٤٤ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● مكتب البريد – تاليف نومي بوكهيمر – ترجمة الدكتور محمد صابر سليم – مراجعة وتقديم احمد زكي محمد – ٥٢ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟)

● المطارات والطائرات – تاليف جون ليولن – ترجمة كميل محمد فريد – ٤٨ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار النهضة العربية (؟) – مطبعة مصر (؟)

● الله .. والطاغوت – مجموعة شعرية – محمد منلا غزيل – ٥٦ صفحة – طبع في دمشق – (ولم يذكر اسم المطبعة) .

● التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٦٠/١٩٦١ لوزارة التربية والتعليم الاردنية – ٢٩٦ صفحة – حجم كبير – صدر باشراف قسم الاحصاء في وزارة التربية بعمان – المطبعة الوطنية ومكتبتها بعمان .

● غدا ياتي الربيع – مجموعة قصص – تاليف صلاح حمدي – ١١٢ صفحة – مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد .

● ظلال السنديان – مجموعة قصص – تاليف حارث فرحات – تقديم موسى سليمان – ١٧٦ صفحة – مطبعة سليم ببيروت .

● علماء بارزون : قصص احرازات ٢٧ عالما خالدا – تاليف جورج خوري سمعان – ٧٢ صفحة – المطبعة الاقتصادية في عمان .

● غرفة على السطح – مجموعة قصص – تاليف ايلي عزير – ١٠٠ صفحة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● أخي الانسان – مجموعة شعرية – عيسى الناعوري – ١٢٠ صفحة – منشورات دار الرائد بحلب – مطبعة المعارف نجيب كنيدر بحلب .

● شوق – قصائد واهازيج – ادفيك جريديني شيبوب – ١٠٤ صفحة – مع اربع لوحات – منشورات دار الاحد ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بؤس وضياء – مجموعة شعرية – محمد عزيز الحبابي عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية في الرباط – تقديم الاميرة للاعائشه – ١٦٨ صفحة – منشورات عويدات بيروت – مطبعة ستاركو بيروت .

● مزيفو النقود – رواية – تاليف اندريه جيد – ترجمة بهيج شعبان – ٤٤٨ صفحة – حجم كبير – منشورات عويدات ببيروت – مطبعة فضول ببيروت .

● الاحمر والاسود – رواية تاليف ستاندال – ترجمة غياث حجار – ٦٤٠ صفحة – حجم كبير – منشورات عويدات ببيروت – مطبعة كرم بيروت .

● شعراء هازلون : ابو الرقمعق الانطاكي ، ابن وكيع التنيسي ، وابو القاسم الواساني – تاليف امل مسكوني – قدم له واشرف عليه الدكتور مصطفى جواد – ٩٦ صفحة – منشورات دار الفكر ببيروت – مطبعة القماطي ببيروت .

الطبيعة . فلكل شعرة جذر يتكون من ست طبقات وينتفخ هذا الجذر داخل جلد الرأس ويكون البصلات الشعرية التي تغذيها حلمات الشعر وتقع الغدد الدهنية التي تكيف الشعر بحسب نشاطها بجانبها تماما ، فتجعله اما لدنا او جافا او كثير الدهن .

وتطول حياة كل شعرة مدة اربع سنوات تقريبا ، ثم تقوم الحلمة بتكوين شعرة جديدة وتدفع بالشعرة القديمة الى ظاهر الجلد فتسقط ، ويبلغ متوسط ما يفقده من الشعر يوميا في ايام شبابنا ٣٠ شعرة . ويكون كل شيء على ما يرام طيلة تعادل عدد الشعرات المتساقطة مع عدد الشعرات المتجددة . بيد اننا نشعر ذات يوم ان الشعر الذي يتخلف يوميا في المشط بعد التمشيط يزيد عن المعتاد ، ويقل الشعر بعد ان كان غزيرا في الماضي. فما هو السبب في كثرة تساقط شعرنا؟

لنختبر اولا الاوضاع الطبيعية لسقوط الشعر عند التقدم بالسن . تضمر في هذه الحالة جذور الشعر ، ولا توجد حينئذ أية وسيلة لاعادة الشباب الى الشعر وايقافه عن السقوط ، لان التغير قد دخل على جذوره ولم تبق على وضعها الاول . ولكن الامر يختلف لسقوطه في وقت مبكر . قد تعود الاسباب الى تغيرات تطرأ على افراز هورمونات الجسم ، او الى اختلال وظيفة الغدد الصماء . ولكننا لا نجد من يصابون بصلعة تامة من الناس ، الا من اخذ يسقط شعرهم عند جانبي الجبهة وصار يكون زوايا جوفاء في سن مبكرة . وقد اتضح من التحليل بان توتر جلد الرأس الكبير يؤثر في جذور الشعر ويجعلها تضمر . ويمكن معالجة هذه الظاهرة باجراء جراحة ، ولكن يجب الاقتصار في هذه الجراحات على صغار السن دون تعليق آمال كبيرة على نجاحها . وقد تبين بان مثل هذه الجراحات يعمل على ازالة الصداع ، اذا كان السبب يعود الى توتر جلد الرأس . ومن اكثر امراض الشعر انتشارا هو اصابته بالقشرة . وكثيرا ما تشتد مكافحة الناس للقشرة وتطول بلا فائدة . ويرجع السبب هنا الى فساد موروث في وظائف الشعر من جهة ، او الى استخدام وسائل غير مناسبة في مكافحة القشرة من جهة اخرى . ولا تعتبر القشرة من العيوب المشوهة للجمال فقط ، بل انها تزعج اصحابها بسبب الحكة التي تحدثها ، وتساعد على اسقاط الشعر .

اختلال وظائف الغدد الدهنية

تتجدد بشرتنا على الدوام، فتسقط الطبقات الخارجية منها وتندفع الطبقات الداخلية ، لكي تحتل مكانها . والاغتسال والتنشيف اليومي يزيلان طبقة البشرة المنفصلة في كل يوم دون ان نشعر بذلك . غير ان شعر الرأس الذي يقل غسلنا له (بالنسبة لايدينا) يمنع البشرة القديمة التي تتكون على شكل قشرة من السقوط ، ويجب هنا استخدام المشط والفرشاة لازالتها . وكثيرا ما يختل عمل الغدد الدهنية التي تصحب شعر الرأس وتقوم اما بافراز الدهن بصورة تزيد عن المعتاد او تقل عنه . ففي الحالة الاولى تنشأ القشرة الدهنية ، اما في الحالة الثانية فتنشأ القشرة الجافة . يضاف الى ذلك ان الحالة الاولى يصحبها خلل في تكوين القشرة القرنية فوق سطح البشرة وفي نشاط الدورة الدموية في جلد الرأس . واذا اردنا ازالة قشرة الشعر ومعالجة جلد الرأس بنجاح فعلينا ان نتأكد في اول الامر من نوعها .

ولا غرابة ان تخفق المعالجة اذا ما عولج الشعر الكثير الدهن بماء الشعر الحاوي على الزيوت ، او اذا ما عولجت القشرة الجافة بماء الشعر الذي يزيل الدهن . وتوجد اليوم انواع من ماء الشعر لكل من الحالتين . والى جانب اختيار النوع المناسب للحالتين فان مدة المعالجة تلعب دورا هاما في الشفاء ، وعلى الاخص لدى الذين تختل لديهم وظائف الشعر بمجرد وجود استعداد له . فهذه الحالة لا يمكن معالجتها بسرعة ، وكثيرا ما يدوم ذلك اشهر طويلة قبل زوال القشرة . ومن قام خلال تلك المدة باستبدال علاج بعلاج اخر فانه يضيع ماله هدرا . وجلد الرأس السليم هو ذلك الذي تسير فيه الدورة الدموية بانتظام . ويعالج جلد الرأس الى جانب ذلك بكمادات الاعشاب الحاوية على الفيتامينات ، والدلك ، والاشعة فوق البنفسجية ثم بالمراهم التي تساعد على تنشيط الدورة الدموية في جلد الرأس .

سقوط الشعر لدى الاطفال ايضا

ليس جلد الرأس دائما سبب سقوط الشعر ، فبعض الامراض مثلا كالتيفوس ، والانفلونزا الحادة ، او ارتفاع نشاط الغدة الدرقية قد تؤدي الى سقوط الشعر ، وكذلك الاعياء العصبي او تناول الاطعمة القليلة الفيتامينات . الا انه كثيرا ما يعود الشعر الى حالته الطبيعية اذا زال المرض او مع تناول الاطعمة بتركيبها الطبيعي . بيد ان الناحية العسيرة هي سقوط الشعر في بعض اقسام الرأس على شكل دوائر بصورة تصعب معالجته . وهنا لا بد من استشارة الطبيب . وهناك امراض الاشنة التي كثيرا ما تلحق بالاطفال ، فتتكون لديهم بقع مستديرة مغطاة بقشور بيضاء ، فيبدأ الشعر في تلك الاماكن بالانقصاف . ويعرف هذا المرض باسمه العلمي ((الميكروسبوري)) . واشد من هذا المرض هو مرض تظهر خلاله البثور في رؤوس الرضعاء والاطفال الصغار وتحتقن هذه البثور بالصديد ويصل حجمها الى حجم حبة العدس ويكون لونها اصفر . وهذا المرض معد ويجب مراجعة الطبيب بشأنه في الحال .

ولا بد من العناية بالشعر بصورة منتظمة، لان ذلك يعمل على تنظيم سير الدورة الدموية في جلد الرأس . وهذا ما يمنع سقوط الشعر . ويجب ازالة القشرة عند ظهورها وتنظيم حركة فرز الدهن من الغدد الدهنية . وتجنب استخدام الصابون القلوي واستعمال انواع ماء الشعر الجيدة .

في كلمات ...

● اعلنت جمعية السرطان الامريكية ان اكثر من ١٤١٠٠٠٠ شخص ممن كانوا مصابين بداء السرطان قد شفوا . وبالاضافة الى هؤلاء يوجد ٧٠٠٠٠٠ شخص ممن كانوا مرضى بالسرطان ولكن لا يمكن اعتبارهم الان ناجين كليا من المرض لانهم لم يكملوا بعد فترة الخمس سنوات دون ان تظهر عليهم اعراض المرض . وقالت الجمعية ان تحسن وسائل التشخيص والمعالجة هما العاملان الرئيسيان اللذان اخذا يزيدان باضطراد من نسبة الشفاء من السرطان .

● تمكن العلماء من تغيير الانسجة البشرية الحية الى كتل شبيهة بالسرطان وذلك عن طريق نقل فيروس اليها . وهذه التجارب تدفع بالعلم خطوة اخرى نحو اثبات ان الفيروسات تسبب على الاقل بعض انواع السرطان البشري . والاهم من ذلك ان الاكتشاف الجديد يوجد الامل بان يتمكن رجال الابحاث اخر الامر من منع حدوث السرطان المتسبب عن الفيروس ، نتيجة التطعيم . وقد اورد العلماء في جامعة بنسلفانيا نبأ هذا الاكتشاف في عدد يونيو من مجلة الخلايا والفسيولوجيا النسبية . وقد قام هؤلاء العلماء بحقن فيروس اخذوه من كلاوي القردة في انسجة ازالوها من جلد عدد من المحسنين وخلال فترة تراوحت بين ٨ و ١٤ اسبوعا تسبب الفيروس في تحول الخلايا الى اشكال غير طبيعية كانت لها جميع خصائص التورمات الخبيثة. ويقوم العلماء الان بدراسة اخرى لتحديد ما اذا كانت التورمات الشاذة هي من نوع السرطان وذلك عن طريق زرعها في حيوانات المختبر لمعرفة ما اذا كانت تحدث فيها تورمات سرطانية .

● افاد العالم بيكر خلال المؤتمر الطبي الذي عقد في برلين الغربية لاجل تزويد الاطباء بالمعلومات الطبية الجديدة ، بانه تم الان اكتشاف طريقة جديدة لاجل مكافحة مرض

السرطان تنحصر في استخدام الطاقة الكهربائية المرتفعة التي تبلغ قوتها مليون فولت . وتضمن المعالجة بهذه الطريقة الوصول الى اعمق طبقات الانسجة الجسمية المريضة . وهي اكثر اقتصادا من استخدام اشعة الكوبالت ٦٠ . وقد اصبح بالامكان بهذه الواسطة شفاء التوامي السرطانية التي كان لا يستطيع الاطباء الوصول اليها حتى الان .

● أعلن طبيب من بريزبين ان هناك علاقة بين ورق السجاير و « سعال المدخنين » وان اجراء مزيد من التحقيق قد يؤدي الى وجود علاقة بينها وبين سرطان الرئة . وقال الدكتور ه. ليتون كيسيفين في رسالة بعث بها الى المجلة الطبية الاسترالية انه اذا ما كانت هناك علاقة تربط ورق السجاير بالسرطان فمن الممكن العثور على نسيج اخر من الورق للاستعاضة به عنه . وقد طحنت السجاير بما في ذلك ورقها ووضع خليط الورق والتبغ في غلايين وبعد تدخينه بعدة اسابيع بقي السعال عند الجميع باستثناء اثنين .

● اكتشفت في كندا عظمة حيوان ديناصور عاش على الارض من ٧٠ مليون سنة ، وكانت مصابة بمرض سرطان العظام . وقال الدكتور « سوينتون » مدير متحف « اونتاريو » ان هذه العظمة تدل على ان مرض السرطان ليس من امراض المدنية . ولكنه مرض لم نعرف بعد كل ره . لو كان من امراض المدنية لما أصيب به هذا الحيوان في تلك الحقب الماضية التي لم تعرف اية مدنية .

● انقضت اعوام طويلة كثيرة والمشتغلون في ميدان الطب والابحاث الكيميائية في العالم يجرون اختبارات مضنية قصد ايجاد عقار كيميائي يستطيع ان يحول دون تجمع المادة الدهنية ومشتقاتها في مجرى الدم ودون تركزها بصورة تكفي لاحداث امراض في القلب . ولقد قام العلماء بابحاثهم على اساس الوصول الى امكان اعادة تركيب الدم في الجسم الى حالته الطبيعية العادية دون تراكم مركبات المواد الشحمية فيه بصورة يصبح معها هذا التركيز خطرا على الحياة وتكون هذه العودة بواسطة عقار طبي دون تأثيرات ثانوية ونتائج ضارة . ولقد اعلنت مصانع الكيمياء الامبراطورية البريطانية عن اعتقادها بانها توصلت الى ايجاد هذا العقار المنشود . وهو لا يزال قيد التجارب الكثيرة لمعرفة جميع تفاعلاته ومضاعفاته .

● احرز فريق من العلماء البريطانيين العاملين في معهد الابحاث الطبية في لندن تقدما كبيرا في مكافحة داء البرص او الجذام ومكافحة مرض التراخوما . والجدير بالذكر ان داء التراخوما يصيب الملايين من الناس ويسبب لهم فقدان البصر . وقد يزيد عدد المصابين بهذا الداء على ٤٥ مليون نسمة كما ان مرض البرص يصيب الان عشرة ملايين انسان في العالم . ولقد وجد فريق العلماء المذكور نوعا من مطعوم طبي فعال في مكافحة البرص . وتجدر الاشارة الى ان عصيات هذا الداء قد تم اكتشافها عام ١٨٧٤ وحتى اليوم ظلت جميع العقاقير المستخدمة ضد جرثومة المرض غير فعالة . ووجد العلماء ان عصيات داء البرص شبيهة بالفيروسات بما انها لا تعيش ولا تنقسم او لا يمكن زرعها الا على ذرات حياة . وهذه هي الحال مع فيروس التراخوما . ومن هنا وجه الشبه بين الاثنين. كما وجد العلماء ان هذه الفيروسات تتأثر بمبيدات الجراثيم .

● كتب الدكتور عزيز جريس من القاهرة عن فوائد البصل فقال : انه مدر للبول ، ومنفث ، ويفيد البصل في النزلات الشعبية ، والزكام ، والسعال ، وبحة الصوت ، ويطهر البطن ، ويمنع العفونة ، ويعالج الاستسقاء ، واكله يساعد على النوم . وفي ضربة الشمس، يدلك المصاب بالبصل المدقوق مع الملح من رأسه لاخمص قدميه . وفي الارق ، يلف عنق المصاب به بالبصل المدقوق . وفي الخراج ، توضع عليه بصلة مشوية فتساعد على فتحه. وفي الصرع ، يفيده عصير البصل بمعدل ٩٠ جراما يوميا . وفي طنين الاذن ، يعالج بقطرات من عصير البصل . وفي البول السكري ، يفيده الورق الاخضر للبصل . ولتنظيف الدم والمناعة ضد السرطان ، يؤكل بمعدل بصلة متوسطة يوميا مع مراعاة ان يشتمل الطعام على الاغذية المنظفة للدم ، وهي الخضروات الطازجة والفواكه المحتوية على مواد سكرية عضوية واملاح عضوية يمتصه من التربة وكذلك تناول الفول السوداني النيء ، واللبن الرايب ، والجبن الحلوم اذ ان مرض السرطان يظهر بنسبة تطرد مع كمية استهلاك اللحوم والطيور والاسماك .

● تبين من نتائج الابحاث ، بان كثيرا ما تحصل عوارض الاصابة بالسداد القلبي بعد شرب المشروبات الباردة او تناول «المثلجات». ويظهر بان السبب يعود الى تشنج الاوعية الدموية ، ومنها اوعية القلب ، فيحدث الانسداد فيها ، ويؤدي الى فساد تغذية عضلاته . ولهذا يقتضي خاصة على المسنين تفادي تناول الاطعمة والمشروبات التي ترتفع درجات حرارتها او تنخفض الى حد بعيد . اما الاغتسال الخارجي بالماء البارد ، فانه لا يسبب مثل هذه الاضطرابات . وكثيرا ما يمكن تفادي أزمة قلبية ، اذا ما غسل الساعد الايمن بالماء البارد . ويساعد غسل اليدين والساعدين بالماء الحار على التوالي قبل النوم في تنشيط الدورة الدموية . ويجب الاستلقاء على الجهة اليمنى اثناء النوم لتفادي الضغط على القلب .

● اعلن العالم الدكتور اوسكار اورباخ في الاجتماع السنوي للجمعية الطبية الاميركية ان « الوفيات الناجمة عن امراض القلب بين المدخنين تبلغ ضعفي عددها بين غير المدخنين. وانه تبين من تشريح جثث ١٤٣٥ مريضا في المستشفيات بين عامي ١٩٥٢ – ١٩٦٠ ان رئات وقلوب الاشخاص الذين يدخنون بكثرة مصابة باضرار جسيمة كانت تكفي في بعض الحالات لتكون مسؤولة مباشرة عن الوفاة » .

● يفيد تقرير حكومي ان اكثر من ٥٫٤٠٠٫٠٠٠ اميركي مصابون بتاخر عقلي . وحذر التقرير من ان العدد سيزداد مليونا اخر حتى عام ١٩٧٠ ما لم يتم تقدم رئيسي في هذا المجال . وقال ريبيكوف وزير الصحة ان ازدياد هذا العدد يشكل تحديا للمجتمع الاميركي

● ابعاد الفرد عن اسرته فترة من الزمان من اهم انواع العلاج التي يتبعها الاتحاد السوفييتي لشفاء الامراض العقلية . وفي كثير من الحالات يكتفي الاطباء هناك بنقل المريض الى احدى المصحات البعيدة، فيستعيد صحته العقلية . اما وسائل التحليل النفسي التي يتبعها تلاميذ « فرويد » فلا تجد في روسيا اي نوع من التشجيع لانهم يعتبرونها توجه اهتماما اكبر من اللازم للمسائل الجنسية . ويقول الدكتور كابلان الاميركي ان الاحصاءات الروسية دلت على نقص الامراض العقلية بمعدل ٣٨ ٪ من عام ١٩٤٠ حتى الان .

● كتب ابن سيناء وكذلك ابن البيطار عن الملوخية ووصفاها كدواء وملين .. وذكرا حقيقة اكدتها الابحاث بعد ذلك وهي ان بذور الملوخية على عكس اوراقها ذات تأثير سام ومسهل شديد .. لوجود مادة «جاوكوسيدية» بها اسمها « الكوركورين » . واوراق الملوخية تحتوي على نسبة عالية من الماء تبلغ ٨٢ ٪ تنخفض بعد التجفيف الى ٩ ٪ وتحتوي ايضا على ٢٫٠ ٪ من المواد القروية التي يرجع اليها ما هو معروف من تأثيرها الملين الملطف .. وهي تحتوي ايضا على قدر كبير من البروتينات تبلغ ٢٩ ٪ واملاح معدنية نسبتها ٢٤٪ وهي املاح الحديد والكلسيوم والالومنيوم والمغنسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والكلور والكبريت والفوسفور . وتعتبر اوراق الملوخية ايضا من أهم المصادر الغذائية لفيتامين (أ) فهي لا تتأثر بالطهي او التجفيف .

● يرى فريق العلماء الالمان الذين يعملون في

مصلحة بحوث الالبان في مدينة كيل بان اللبن يعتبر سلاحا ماضيا في مكافحة الاضرار الصحية التي يسببها التدخين ، ويشيرون الى ان تناول كاس من اللبن في الفترة التي تقع بين تدخين سيجارة واخرى يعمل على تهدئة اعصاب المعدة والامعاء التي يثيرها النيكوتين كما يزود الجسم بالمواد الغذائية والعناصر التي تقوم بالدفاع عنه ضد الجراثيم .

● تبين بان دورة الدم في غشاء الانف المخاطي تفتر ، اذا ما غطست الاقدام في الماء البارد ، وبالعكس فانه يكثر نشاطها اذا ما غطست الاقدام في الماء الحار . ويستنتج من ذلك على ان الاقدام الباردة تساعد على ظهور الزكام ، لان ميكروبات الفيروس التي تسببه يزداد انتشارها في غشاء الانف المخاطي الذي تفتر دورته الدموية . وبالامكان ايقاف الزكام عند ظهوره اذا ما غطست الاقدام في الماء الحار ثم في الماء البارد على التوالي . وكثيرا ما تسبب الاقدام التي تفتر فيها حركة الدورة الدموية رشح الكليتين ، وتبرد المثانة وامراض الروماتزم . وتستخدم لازالة هذا الضرر انواع من الاحذية الخفيفة المزودة بقطع مدببة من المطاط تقوم بتدليك اسفل الاقدام عند السير ، فتنشط حركة الدم فيها وترتفع حرارتها . واستخدام مثل هذه الاحذية مدة ربع ساعة صباح ومساء ، بامكانه ان يحول دون ظهور الكثير من الامراض .

● اجرى اثنان من الاطباء الانجليز تجربة غريبة ثبت منها ان الجنين في بطن امه يسمع الموسيقى ويستجيب لانغامها ، حتى قبل ان يولد باربعة عشر اسبوعا ! وتظهر استجابة الجنين اما بالرفس ، واما بسرعة دقات القلب . وقد أجريت التجربة على ٢٩٠ من السيدات الحوامل ، واستجاب جميع الاجنة فيما عدا ستة ، يعتقد الطبيبان ان اصحابها مصابون بالصمم او بعقد الحساسية .

● يؤكد العالم ليونيد فاسيلييف ، معتمدا على طائفة من التجارب اجراها في معهد الدماغ بان دماغ الانسان يتمتع بموارد طاقة تسمح له بالقيام بايحاءات عن بعد . وهي ليست موجات كهرمغنطيسية بل طاقة لانزال نجهلها . ولقد اسس مختبر خاص في جامعة لينينغراد تدرس فيه بادارة فاسيلييف ظاهرات تبادل الشعور عن بعد . وقد اصدرت دار نشر جامعة لينينغراد كتابا لفاسيلييف عنوانه « ابحاث تجريبية حول ايحاء الفكر » .

● صنعت احدى الشركات البريطانية كرسيا للعجزة المقعدين يدار بالبطارية . ويمكن طيه وحمله في صندوق السيارة كما يمكن استخدامه داخل المنزل وخارجه . وباستطاعة هذا الكرسي ان يسير بسرعة ستة كيلومترات في الساعة .

● أعلنت احدى الشركات البريطانية انها صنعت محطة تلفزيون داخلية يصلح استعمالها في المستشفيات وتخفف عن الممرضات الكثير من العناء والوقت . فباستطاعة الممرضة المسؤولة عن العناية بالمرضى في أحد أجنحة المستشفى وهي جالسة مكانها ان تراقب حركة جميع المرضى في الجناح على جهاز تلفزيون امامها . وقد اخترعت الشركة ايضا جهازا جديدا هو عبارة عن « ممرضة الكترونية » تستطيع ان تقيس درجة حرارة المريض وضغط الدم ، ونبض القلب ، وتسجل جميع هذه الامور على جهاز مركزي في غرفة الطبيب او الممرضة .

● صنعت احدى الشركات البريطانية ساعة منبهة للصم ، وهي تطلق اشعة ضوئية عند الساعة المحددة للاستيقاظ . ويمكن وصل الساعة بالمصباح الجانبي للسرير . وعندما تحين الساعة المحددة للاستيقاظ تبدأ الساعة باطلاق اشعة ضوئية قوية متواصلة الى ان توقف بواسطة الضغط على زر صغير فيها .

● تلقت احدى الشركات البريطانية طلبا من احد مستشفيات هولندا لتزويده بجهاز اوتوماتيكي ينقل وجبات الطعام الساخنة من مطبخ المستشفى رأسا الى المرضى. وباستطاعة هذا الجهاز حمل ٥٠٠ « صينية » .

● استطاع الاختصاصيون في جامعة لندن



صنع جهاز سيجعل من الممكن ان يرى الشخص محدثه بواسطة الهاتف . وصرح الدكتور كولين بان الجهاز اصبح معدا للنزول الى الميدان التجاري .

● تمكن المعهد الوطني البريطاني للابحاث المتعلقة بمنتجات الحليب ، من التوصل الى انتاج جهاز اوتوماتيكي يستطيع في غضون دقيقة واحدة ان يعين نسبة ما تحتويه أية كمية من الحليب ، من الدهن والبروتين والسكر . وقد جاء اختراع هذا الجهاز نتيجة ابحاث علمية اجريت خلال ٥ سنوات .

● ينتظر مستقبل عظيم لمولد كوانتات الموجات الكهرمغناطيسية الذي صنعه العالمان السوفياتيان بروخوروف وباسوف الحائزان على جائزة لينين . لقد وضع العالمان حول محور من الياقوت الصناعي مصباحا ذا تفريغ غازي حلزوني الشكل . يبث المحور الياقوتي شعاعا دقيقا بالعين المجردة في المريخ والزهرة والقمر. وبواسطة قوة المصباح التي لا يتجاوز ١٠ او ١٥ كيلواطا يتجاوز سطوع الشعاع الحاصل سطوع القرص الشمسي بمليون ضعف . واذا ركزت هذه الحزمة الضوئية على سطح لا يقيس سوى بعض اجزاء من الف من المليمتر المربع بلغ الضغط الضوئي في هذه النقطة مليون جو . وشعاع الياقوت سوف يجد قريبا استخدامه العملي في الاتصالات البعيدة ، اذ ان عدد ذبذبات الموجات الضوئية يتجاوز بمئات الاف الاضعاف ذبذبات الموجات الهرتزية في المقياس المعبر عنه بالسنتيمترات.

● يقول تقرير اذاعته اللجنة المشتركة لابحاث الحرائق في لندن ان استعمال المحركات النفاثة كمعدات لاطفاء الحرائق باتت من الامكانات القريبة الوقوع ، فان منتجي هذه المحركات يقومون الان باعداد محرك يستطيع نفث كميات كبيرة من نوع خاص من الغاز يتمدد بسرعة فيخمد الحرائق واللهيب . ويتطرق التقرير ايضا الى بعض الامور الفنية الواجب اتباعها للحؤول دون امتداد ألسنة النار من بناية الى أخرى وكذلك الى وجوب النص على ترك فسحة معينة بين البناية والاخرى في رخص البناء كسبيل لحصر الحرائق عند وقوعها .

● استخدم باحثو معهد تربية دود الحرير في تفليس مادة تنشط النمو لزيادة مردود دود الحرير وهي مادة استحصلها العالم غصينوف من البترول . وقد استخدم العلماء الجيورجيون محاليل من مختلف مركبات هذه المادة لرش اوراق التوت وقت تغذية الديدان. واظهرت التجارب ان هذه الطريقة تزيد طاقة الدودة الحيوية وعدد الفيالج وثقلها النوعي.

● تمكنت شركة « برايكاستر » بولاية كولورادو من صنع جهاز للسلامة في السيارات هو عبارة عن الفرامل الالية توقف السيارة لدى انعدام ضغط قدم السائق على دواسة البنزين . وتقول الشركة ان الجهاز الجديد الذي يعمل بوقت واحد كدواسة للبنزين ودواسة للفرامل يوقف السيارة بشكل انعم من الفرامل العادية . ويعتبر الجهاز ضمانة ممتازة في حال نوم السائق او في حال اصابته بنوبة مرضية خلال قيادته للسيارة . وبالامكان استخدام الجهاز الجديد في الشاحنات وجميع انواع السيارات .

● قالت وكالة انباء تاس ان العلماء السوفيات قد اخترعوا نوعا جديدا من زجاج الكريستال اقوى من الفولاذ واخف من الالومنيوم . وان تحقيق استخدام زجاج الكريستال في صنع الاجزاء الداخلية للمحركات والتوربينات اصبح ممكنا . وقالت تاس ان قوة الانحناء للزجاج الجديد تبلغ ٥ اضعاف قوة الزجاج العادي كما انه يستطيع ان يتحمل التغيرات الحرارية الى ١٤٠٠ درجة مئوية .

● وضع دماغ الكتروني في الدوائر الرسمية لمدينة نيوكاسل بانكلترا يستطيع تصنيف ٤٠ مليون بطاقة خاصة بمشروع التقاعد وحفظها في الملفات المعينة لها . وقد قامت شركة بريطانية بصنع هذا الجهاز وتركيبه وهو من ادق العدادات من نوعه في اوروبا يعمل بواسطة شريط ممغنط يتيح له فرز البطاقات التي تحوي معلومات عن مشروع الضمان الجماعي بما في ذلك رقم البطاقة واسم الشخص وعنوانه وتاريخ ولادته والكمية التي تستحق له .

● صرح العالم بوديكو مدير المرصد الجيوفيزيائي المركزي في لينينغراد بان نشر عدد من العناصر المعاكسة في الهواء يمكنه ان يهطل المطر . وقد وضعت طرائق لتلافي البرد وتبديد الغيوم . وخلال كسوف الشمس في السنة الماضية اجرى الباحثون طائفة من تجارب تبديد الغيوم في القرم . وهذه التجارب تكللت بالنجاح . واردف العالم قائلا: يستطيع علم الظاهرات الجوية السوفياتي الان ان يدعم علميا مسائل تغيير المناخ في رحاب شاسعة . ان مسالة تخليص المحيط المتجمد من طبقة جليد هي ذات اهمية بالغة . واذا تمكن من فعل ذلك ازدادت درجة الحرارة في القطب الشمالي وفي خطوط العرض الوسطى.

● تحدث العالم برنارد لوفيل في المؤتمر الاوروبي الاميركي الذي عقد في برايتون من اعمال الجزر البريطانية لبحث مستقبل الانسان والجنس البشري بعد سبر اغوار فضاء الارض الخارجي والوصول الى الكواكب السيارة التي تدور حول الارض. فقال ان ثمة مشكلتين كبريين في علم الفلك لا يمكن حلهما الا بواسطة الوصول الى الكواكب السيارة الدائرة في فلك الارض. وهاتان المعضلتان هما اولا معرفة اصل الشمس والكواكب السيارة هذه اي التي تدور حول ارضنا . ثانيا معرفة اصل الحياة في نظامنا الشمسي . وبالامكان ان يكون البحث بشأن هاتين المعضلتين جزءا من اعمال المراصد الجوية المختصة برقابة الفضاء سواء أكان ذلك ضمن نطاق مدار الارض أم بواسطة الوصول الى القمر لدرس غباره واصل هذا الغبار وطبيعته ومصدره . وقال : ان الجواب على مشكلة اصل الارض يكمن الى حد ما في تفحص الغبار الكائن في الاجواء القائمة بين كوكب وكوكب . ومثل هذا الغبار يتكثف كثيرا على سطح القمر وهو لا يزال محفوظا وباقيا هناك . ان ملايين الكواكب في هذا الكون لا بد ان تكون ملائمة لوجود الحياة عليها . وفي النظام الشمسي لا بد ان يكون من الممكن تحديد ما اذا كانت الحياة قد بدأت اصلا داخل النظام المذكور او خارجه . وهذا التحديد سيتم الوصول اليه من دراسة النيازك واشكال الحياة القائمة على سطح المريخ وكوكب الزهرة . ثم اشار الى الفوائد العلمية التي ستنجم عن ابحاث الفضاء والتي زادت مقدارها الاقمار الصناعية كاكتشاف زنار او دائرة من الاشعاع تحيط بالارض وكذلك تصرفات الاشعة الكونية في نطاق حقل مغنطيسية الارض وعوامل اخرى قد يتم اكتشافها ايضا .

● اخذت المعاني الرئيسية للقسم المرئي من وجه القمر ـ السهول او البحار الكبيرة وكذلك الجبال والوديان ـ شكلها النهائي منذ حوالي ٤٥٠٠ مليون سنة في عصر الارتطامات النيزكية الضخمة . هذا ما قاله الدكتور هارولد اوري استاذ علم الفلك في جامعة كاليفورنيا والحائز على جائزة نوبل . وقال ان فترة تطاير النيازك الضخمة استمرت حوالي المليون سنة . ومنذ انتهاء تلك الفترة يتعرض القمر والارض في بعض الاحيان الى رشق نيزكي ولكن ذلك لم يحدث الا فوهات صغيرة. ولا بد ان يكون حصل ارتطام واحد على الاقل بين القمر ونيزك ضخم وان قوة ذلك الارتطام كانت تعادل مئة مليون مرة قوة اعظم هزة ارضية معروفة في التاريخ . ومن الممكن ان تكون قوة ذلك الارتطام الهائلة قد جعلت قسما من سطح القمر يرتفع ثم يهبط ويشكل بذلك الجبال المختلفة الظاهرة عليه . ويعتقد الدكتور اوري ان تلك الحقبة التي مرت بالقمر منذ حوالي ٣٠٠٠ مليون سنة كانت حقبة غير عادية في تاريخ ذلك القسم من المجرة وربما كانت اخر مرحلة في مراحل تكوين القمر والارض والنظام الشمسي باكمله.



صباح محي الدين صاحب « السمفونية الناقصة »

•

اكثر من خط واحد جمع بين الاديب اللامع صباح محي الدين الذي نعته الانباء ، وبين الكاتب الفرنسي الشهير البير كامو .

وقد يدهش الكثيرون لوضعي المرحوم صباح في مصاف كاتب عالمي بارز ، نال جائزة نوبل كالبير كامو ، ويعتقدون انني امضي في المبالغة الى حد بعيد .

بيد انني اجد وجوها كثيرة من الشبه بين الكاتبين الراحلين ، مع حفظ فارق النسبة طبعا بين قيمة آثار كل منهما ، ذلك ان كلا من الاديبين كان يمثل في محيطه الادبي شعلة من الطفرة والتمرد والثورة على الماضي والتقاليد المتحجرة ، ويشكل صورة حية من صور الانطلاق والتحليق الى اجواء جديدة .

ولعلها من قبيل المصادفات المؤلمة ان يكون كل منهما قضى نحبه بطريقة واحدة ، وهي الموت في حادث سيارة ولما يتجاوز الاربعين من عمره الا قليلا .

انه الموت الابله ، او قل القدر الغاشم الذي شاء ان يضرب ضرباته التي لا تفسير لها ، وكل من الكاتبين في أوج اندفاعه ، وعنفوان نشاطه ، وذروة انطلاقه .

هذا بينما كانت الامال معقودة على كل منهما في ان ينتج ويبدع ويكمل رسالته التي اختطها لنفسه وسار عليها ، وبدأت تؤتي ثمرها ، وتظهر تباشيرها بنجاح مرموق .

ولو كانت الظروف مهيأة لصباح مثلما كانت مهيأة لالبير كامو ، لما كان انتاج اديبنا الشاب الراحل يقل جودة وقيمة وكثرة عن اثار مؤلف « التمرد » .

وعند هذه النقطة ، نقطة التمرد بالذات ، يلتقي صباح مع الاديب الفرنسي الكبير ، وقد كان في حياته من اكثر المعجبين به وبآثاره .. فكلاهما تمرد على مجتمعه ، وقاوم اخطبوطه الصارم الظالم ، وحاول الافلات من « جوره » المخيف . وشاء بمحض ارادته ان « يطفو » على اديم هذا المجتمع ، ويحطم الوف السلاسل والاغلال التي تقيد حريته ، ولم يرض بان يرسف مع ابناء قومه في الجو الذي عاش فيه غيره من اترابه ورفاقه ، او يذعن ويستسلم لحياته الماضية التي فرضت عليه .

وهكذا شاء الشاب الحلبي اليافع صباح محي الدين ان يتحرر من محيطه وان تجتذبه اولا انوار بيروت ونشاطاتها المختلفة واضواؤها الفكرية البراقة . فكان ان حضر اليها في عام ١٩٤٧ لكي يخوض غمارها الصحافية بسلاح الثقافة الرفيعة ، ويغرق في محيطها الادبي الفوار ، ويمارس في اجوائها تجربة جديدة . تماما كما فعل البير كامو حين غادر محيطه الجزائري الاوروبي ، وغزا المحيط الادبي في باريس .

وكانت الزميلة « بيروت » في عز نشاطها واوج انتشارها في ذلك العهد ، فعمل فيها ردحا من الزمن ، كما كان يكتب اسبوعيا في شقيقتها الجريدة الاسبوعية الادبية « بيروت المساء » قبل ان تتحول الى جريدة سياسية يومية .

وفي تلك الفترة عرفت صباح محي الدين، فوجدت فيه شعلة ذكاء وتوثب ولقيت فيه مثال الشاب المثقف المتفتح الذي يقبل على الحياة العملية بعد ان تسلح بأعلى الشهادات الجامعية ، ورائده الخلق والابداع وانتاج شيء جديد .

خيبة أمل

ولكن بيروت سرعان ما خيبت امله ، ولم يجد في عمله الصحفي الروتيني ما يرضي مطامحه البعيدة او يتجاوب مع نوازعه المتوثبة الراغبة في الانطلاق والتحليق . واذا به يجد ان بيروت بمحيطها وتقاليدها وقيودها ، هذا فضلا عن عقليتها ، لا تختلف عن حلب في شيء لا بل وجد نفسه في هذه المدينة اكثر غربة منه في حلب . وهذا ما كان يقوله لي دائما .

ولعل هذا وذاك ما حمله على هجر عاصمة لبنان ووجهته باريس عاصمة الحضارة والفكر الغربي ، ومدينة الحرية والانطلاق . وكنت شخصيا قد سبقته اليها ، فاذا بنا نلتقي معا من جديد في الحي اللاتيني عام ١٩٥٠ وقد جمعتنا غايتان لا غاية واحدة :

غاية الدرس ومتابعة التثقف والتعلم ، وغاية التعرف على مجتمع افضل واقتباس حضارة جديدة في مظانها ومطارحها الاصيلة . فكنا شلة من الشبان العرب نعب من الحياة الباريسية جرعات كبيرة ونتشبع من ثقافتها ، وافكارها وفوراتها السياسية وجوها المتحرر ونتتبع مدارسها الادبية عن كثب .

بيد انني اعترف ان صباحا كان اشدنا انغماسا في حياة باريس بجميع مظاهرها ومجالاتها — وقد شرب من متعها حتى ارتوى ، وانتشى بخمرتها حتى الثمالة ..

اديب وجودي

واذكر الان ان المدرسة الوجودية كانت في اوج سيطرتها على شبيبة باريس ، وحتى على تصرفاتهم ومظاهر حياتهم اكلا وشربا ولبسا ولهوا ، وغالبا ما كنت اجد صباحا وقد تحول بين عشية وضحاها الى واحد منهم لا تفرقه عنهم وكان يرتدي لباسهم من بنطلون ضيق وقميص اسود مفتوح الصدر ، وشعر منتفش .. يعيش عيشهم ويستمرىء اسلوبهم في الحياة ، وكنت اسأله عن سر هذا التحول في مظهره . فقال اريد ان ادرس حياة هذه الفئة من الناس وانا في غمرتهم وجوهم . واذا لم افعل ذلك لا يتاح لي التعمق في درسهم كما يجب .

ونال صباح شهادة الدكتوراه في الادب من السوربون ، وكان قد شبع من حياة باريس ، فانتقل الى لندن . وهناك مارس الحياة نفسها في عاصمة الانكليز . وبذلك اكتسب ذخيرة عامرة ، وزود نفسه بخلاصة الثقافتين اللاتينية والانكلو سكسونية .

ولم يعد الى البلاد العربية الا بعد ان ربط نفسه ايضا بالزواج من فتاة فرنسية راقية ، حتى لا يتغير عليه الجو الذي عاشه واحبه ، وشأنه شأن الكثيرين امثالنا . واختار الكويت مقرا لعمله .

انتهاء مرحلة التجارب

وهناك وجد ان مرحلة التجارب والاختمارات الذهنية قد انتهت ، وجاء دور الانتاج والعطاء . فكان ان اصدر اول مجموعة قصصية له بعنوان « بنت الجيران » فكانت فتحا جديدا في عالم القصة القصيرة ، وكانت ثورة على تقاليد المجتمع العربي وصورا من مظاهره المختلفة ، والوانا من الحياة التي عاشها المؤلف نفسه في حلب وفي سورية . وهي قصص من طراز جديد يشعر القارىء للوهلة الاولى انه امام قلم جبار عنيد مبتكر متجدد فريد من نوعه .

ولكن « بنت الجيران » كانت بداية سرعان ما اتبعها بأثر ضخم او قل باحسن اثاره جودة الا وهي رواية « السيمفونية الناقصة » وما اظن ان كاتبا عربيا وصف حياة الفتى الشرقي في باريس بأحسن مما وصفها صباح في سمفونيته تلك .. حتى تكاد « زهرة العمر » لتوفيق الحكيم تقف ازاءها هزيلة ضئيلة ضعيفة . فكيف بكل ما كتب غيرها من اثار وروايات عن حياة الحي اللاتيني وحياة الاديب الشرقي في

هذا الحي .

ففي « السيمفونية الناقصة » استرسل صباح على سجيته ، وانطلق على طبيعته فابدع وحلق ، ذلك لانه عاش حياة باريس وتعرف على خفاياها بعمق بحيث لم يعشها مثله احد سواه من لهجة الصدق واسلوب الواقعية وتحكم فورا انك امام فنان اصيل متمكن لا بل امام روائي عملاق يتلاعب بالظلال والاضواء تلاعب المخرج العتيق حتى يصح القول ان السيمفونية الناقصة تعتبر عملا ادبيا كاملا يصح مقارنته بارقى الروايات العالمية ان كان من حيث الاداء او من حيث الافكار التي تضمنته او من حيث التكنيك والانطباع او من حيث الابتكار والابداع كل ذلك باسلوب مشوق لا يخلو على بساطته من بلاغة وصفاء عبارة .

رواية جديدة

وبعد السيمفونية الناقصة جاءت رواية « خمر الشباب » وقد حافظ فيها على مستواه الذي بلغه في الرواية الاولى ولكنه هذه المرة نقل فيها اجواء لندن وحياتها من وجهة نظر فتى شرقي ايضا .. واذا صح القول ان الاديب انما يتلبس شخصيات ابطاله فان صباح محي الدين كان يتنقل بفن وذوق ما عاشه بنفسه ، في كل من العاصمتين الغربيتين الكبيرين .

أما في مجموعته القصصية « العائد » فقد عالج فيها موضوعات شتى مما يعانيه الفرد العربي ولكن ظلال باريس وذكريات باريس ظلت تحوم بين ثنايا قصصه . فاذا به يضمن هذه المجموعة قصتين او ثلاثا عن حياة باريس واحداث باريس وتجاربه في باريس . اما في قصة العائد نفسها ، وقد تطرق فيها الى مشكلة فلسطين واللاجئين فقد بلغ الذروة في التحليل والتصوير وروعة السرد .

وهو بين هذا الانتاج وذاك ، كان يصرف وقته في الاشراف على تحرير مجلة « رسالة النفط » التي جعلها من ارقى المجلات الادبية في العالم العربي ، بما كان ينشره فيها من نفثات قلمه وادبه العميق . هذا الى جانب انكبابه احيانا على ترجمة ما يعجب به من الكتب التي يطالعها « كاليوم الموعود » الذي قال فيه انه تمنى ان يكون هو مؤلفه او يكتب كتابا مثله .

ولا استبعد في ان يكون في درج المرحوم صباح مخلفات كثيرة لم تنشر بعد ، او مشاريع ادبية في طور الاعداد ولم تكتمل . وكم اتمنى ان يصار الى نشر ما تبقى من اثاره دون نشر . فقد كان - رحمه الله - شعلة نشاط ودفقة اندفاع ، وذروة ايمان برسالته كاديب يجب ان ينتج ويؤلف ويبدع .

ويا خيبة املنا - نحن رفاق صباح محي الدين - في قدر شاء ان يقصف قلمه وهو في اوج انطلاقه وعلى ابواب عهد تفتحه واطلاله على عالم الادب بزخم وقوة ، وقد طلع علينا بنماذج قيمة راقية تبشر بالاصالة والنبوغ والثورة والتعمق .

بيروت (الانوار) اديب مروة

•

حديث مع الدكتور زكي المحاسني

لعل استجلاء الحياة الفكرية والادبية والفنية لادبائنا وشعرائنا المعاصرين وسيلة لوضع القارئ موضع الالمامة الواعية بما يحتويه ادبنا وتضمه بلادنا من رجال الفكر والفن والادب من شعراء وكتاب وقاصين ..

ونحن اليوم في لقاء مع الشاعر الناثر الدكتور زكي المحاسني الاستاذ الجامعي والاديب الذي تحتل اثاره المكتبات العربية ، والذي عاش حينا من عمره الادبي في القاهرة وكان له صولات وجولات في عالم الادب تشهد له بطول الباع ، وعمق التفكير وغزارة الثقافة ، وسعة الاطلاع والمعرفة .

وها نحن في هذا اللقاء نطرح على اديبنا الكبير طائفة من الاسئلة حول حركتنا الادبية الناهضة ، تناولها من مختلف النواحي والجوانب والوجوه .

لقد ذهبت الى الدكتور زكي المحاسني في مكتبه بمديرية التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد القومي ، وفي ذهني كانت تقفز أسئلة عديدة عن واقعنا الادبي ..

وحين افضيت اليه برغبتي في استجلاء الصورة التي يرتئيها عن هذا الواقع وتبيان معالمها وحدودها للقارئ الكريم ، ابدى من الترحيب الحار والاستجابة الصادقة ما شجعني على طرح اسئلتي الواحد تلو الاخر .. بالرغم مما كان لديه من مشاغل التفت الي بكليته ، ليدلي برأيه الجرئ مجيبا على كل سؤال بطلاقة وعفوية ..

رسالة الادب والسياسة

قلت له .. في غمرة الاحداث المتتالية على مسرح السياسة .. هل يتاتى للاديب ان ينتج .. وما هو دوره في مثل هذه الحال ؟

قال .. اذا صدق الاديب في رسالته لم يمنعه مانع من ان يؤديها في كل حين وعند كل ظرف وفي غمار الحوادث اليومية في الليل او النهار ... ولكن الاديب ذا الرسالة الخاصة قد تحول رسالته هذه بينه وبين المشاركة السياسية .

وانا من هؤلاء ، فما عرفت نفسي يوما الا عازفا عن السياسة فكانني لم اخلق لها ، او لست افهمها ، ومنذ كنت ناشئا لزمت فكري قولة للامام الشيخ محمد عبده حين ذكر السياسة فتملكتني تلك الكلمة وابعدتني عن عالم القلق والشكوك والاحلام المزعجة .

العوبة الشعر

قلت : لنترك السياسة جانبا اذن .. ولاسالكم رأيكم في الحركة الادبية الجديدة وبعبارة اخرى في الشعر المنثور والادب الحديث ؟ ..

هنا .. اربد وجه اديبنا الكبير وحمل حملة شعواء لا هوادة فيها على ما اسماه العوبة الشعر التي يسمونها الشعر الحديث والتي قال انه يعدها معولا من معاول الهدم في تراثنا الشعري الذي انحدر الفخار به على وجه الدهر ، المتنبي والمعري وشوقي ومن قبلهم شعراؤنا حتى صميم الجاهلية ..

لم شبه الشعر العربي بناء في صرح ممرد ، قام على قواعد ثابتة راسخة في اعماق الارض وصمد للرياح والامطار وتصاريف الطبيعة وسكنه اناس ، بعد اناس على مسيرة الاجيال والسنين ، حتى جاء من اخلاف هؤلاء ، او من الطارئين عليهم اناس ، وصفهم بانهم رعناء متحذلقون لم يعجبهم هذا القصر ولا ابهاؤه وجدرانه الحجرية .. ورأوا في حضارة البناء العصري تلك الغرف الصغيرة المتلاصقة التي هي اشبه بالصناديق المغلقة فمدوا ايديهم الى القصر وبدأوا يهدمون فيه ، يريدون ان ينشئوا مكانه دارة من دارات احلامهم المتهافتة ... ومن جميل الحظ ان مالكي القصر واهل جواره هبوا يقيمون النكير ليقفوا هذه المحاولة المبيدة ! ..

ثم قال ان اصدقاءه من سدنة الشعر العربي المعاصر امثال الشاعر الكبير الاستاذ عزيز اباظه وغيره من الشعراء الموهوبين بقايا مدرسة « ابولو » وفي رعيلهم نابغة الشعر الحديث الاستاذ حسن كامل الصيرفي والشاعر الذي يلهب النفوس حماسة بشعره الرصين محمود حسن اسماعيل وغير هؤلاء .. كانوا اذا ذكر في محضرهم امر هذا العبث الحديث الذي يسمونه شعرا ، اشاحوا بوجوههم عن القائل ، وباذانهم عن السماع ! ..

اننا لا ننكر التجديد .. ونحن نباشره في كل يوم ، ونطرق ابوابه باذهاننا واقلامنا ، ونرتاد عوالمه الحديثة في الادب الغربي لنفيد منها في ادبنا العربي الحديث .. ولكن التجديد الذي نريده هو تجديد البناء .. لا تجديد الهدم .

وسقى الله الشاعر خليل مطران حين وقف على مسرح العباسية

القديمة في حفل جاءه حافظ ابراهيم لينشد على ضفاف بردى قصيدته الكبرى في وصف الشام ولبنان فقال بين يديه شاعر القطرين مقدما :

نهاية الفضل لي في هذا الكلم تعريف حافظ ابراهيم من أمم

وكان قد امتدح فنه بقصيدة منها هذا البيت :

يبنى ويهدم في الشعر القديم وفي الشعر الحديث فنعم الهادم الباني

فنحن نريد هدما وبناء .. هدما يقوض ما عفن من اثارنا الادبية وطرقنا المتهافتة .. وبناء يجدد في ادبنا الحديث ، ويضيف اليه ما يقرنه بأدب العالم .

اما الشعر الذي تفلت من يد اصحابه زمامه ، فضاع رونقه بترك الوزن ، وفقد جماله وسحره بالركاكة اللفظية ، وتعثر مجرى اقدامه باخطاء اللغة والنحو وخالفته النغمات الموسيقية والمقصد النبيل .. فهذا ليس شعرا .. وانما هو اضحوكة ادبية ، افتراها القرن العشرين!

أزمة الكتاب العربي

ورأيت ان اطامن من سورة اديبنا الكبير واهدىء من ثورته على الشعر المنثور واصحابه .. فوجهت الحديث وجهة اخرى في ثناياها حدة .. ولكن من نوع اخف على الاقل ، فقلت له : ما هو السبيل في رأيكم الى حل ازمة الكتاب في العالم العربي وتسهيل سبل انتشاره ؟ ..

قال وقد هدأت نفسه واطمانت انه كان قد صدر له في مطلع هذا العام كتاب « نظرات في أدبنا الحديث » وفيه فصل لم يكتب له حظ النشر لضيق الحجم الذي اقتضاه نشر الكتاب غير انه سينشره ذات يوم .

ثم لخص ، مجيبا على السؤال ، ما تضمنه هذا الفصل فقال انه يتعلق بالكتاب والناشر والقارىء .. اذ لا تقوم المعرفة الادبية الا على هذه الاقانيم الثلاثة ، فاذا خلا واحد منها ، ضاعت الثقافة ، وضاع الكتاب .

فالمؤلف يحلم بنشر كتابه وما من اديب رأى كتابه منشورا ، الا حسب نفسه في يوم عرسه ، وهذه حقيقة لا ينبغي ان يخفيها الاديب او يخجل من قولها .. فعندي ان عرس العقل هو ثمراته المنشورة ..

ويأتي دور الناشر ، وهو الذي ينفذ ابراز الكتاب .. وهنا نجد العقدة التي يجدها النجار حين يشق الخشبة فيصطدم منشاره فيها وما اشبه الناشر للكتب في حياته بناشر الدفوف الصلبة .. فلا بد من الجهد فيهما ، ومن الناشرين من يشيدون لك البناء بالخشب ، فيعطونك مجدا ادبيا ومالا ثمن اتعابك الفكرية ومنهم من يجور بمنشاره عليك ولولا أن تحيد، لنشرك به نشرا .. فيضيع عنده جهدك في العقل والشعور والمال.

وكم يمارس الادباء واهل الفكر هذه العقدة التي اسميها اليوم تسمية جديدة يعود مولدها الى قولي هذا وهي ـ عقدة الناشر ـ .. فلدى كل اديب هذه العقدة اليوم الا من عصم ربك من الناشرين الفضلاء وهم قليل في ديار العرب .

واما ثالثة الامور فتتجه الى القارىء .. فمن عنده وحده ، خذ قبس الكتاب ، فمتى وجد القارىء المثقف اللقف المزيد للكتاب اشتغل المؤلف ، وبذل الناشر كل جهد عظيم ، ومتى فقد القارىء دب الشلل في الطرفين ، الكاتب والناشر ! ..

اساطير اغريقية ـ الملحمة الشعرية

وقلت للدكتور زكي المحاسني .. بهذه المناسبة .. ما هو اخر انتاج لكم وهل لكم ان تحكو لنا شيئا عن ملحمتكم الشعرية الشهيرة ؟

قال .. ان اخر ما اصنعه في هذه الايام هو جمع الاساطير الشعرية الاغريقية التي عملتها منذ سنة ١٩٥٧ حتى اليوم ونشر اكثرها في مجلة الهلال ، مع تعريف بالاسطورة .. واني الان اكمل هذه الاساطير واخر ما صنعت اسطورتان : الاولى « سيزيف » ذلك الجبار الاسطوري الذي حكم عليه ان يرفع صخرة من الوهاد الى النجاد ، وكانت كلما وصلت أعلى الجبل تدحرجت الى الهاوية ، فكان عليه ان يعيد الكرة في رفعها طوال عمره بعد الموت ..

وقد كان « كامو » الاديب الفرنسي المعاصر الذي لقي حتفه منذ اكثر من عام قد وضع كتابا استغل فيه هذه الاسطورة فمثل شقاء الانسان بها ، فكان الانسان كتب عليه مصير سيزيف ، فنسجت هذه الاسطورة شعرا ، ثم قفيت عليها بأسطورة بينيلوب زوجة عوليس ، التي كتب قصتها هوميروس في الاوديسة واراد ان يمثل فيها وفاء الزوجة في غياب زوجها ..

لقد اعطى هوميروس للانسانية مثالا من المرأة الوفية ، بالغانية بينيلوب التي ازدحم العشاق على بابها واحتلوا دارها يريدونها زوجا او صديقا ويقولون لها ـ مات عوليس فتعالي الينا ـ لكنها بقيت تصدهم تارة بالعنف ، وحينا باللين حتى رجع عوليس من غمار البحار فأطاحهم عنها بسيفه البتار ، وضم حبيبته الغالية اليه .

ثم تحدث الدكتور المحاسني عن الملحمة الشعرية التي يضعها فقال انه كان اول من تقدم في العصر الحديث لنيل الدرجة العلمية في الدكتوراه بموضوع الملحمة العربية والغربية من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٧ ، واكد انه ما زال حتى الان معتنقا لنظرياته في تكوين الملحمة الغربية ، وقد ناقشه الاستاذ عباس محمود العقاد حول موضوع الملحمة العربية اذ كان محدثي الدكتور المحاسني يرى ان العرب ابتعدوا عنها لحاجتها الى الانفاس الطويلة وكان من رأى العقاد انهم ابتعدوا عنها اذ لم يكن لديهم دواعيها .

ووعد محدثي ان يكتب فصلا في هذا الموضوع ، يخص به جريدة « الايام » التي كما قال يحفظ لها ذكرى في نفسه منذ كان طالبا هو ولداته من ادباء الشام ، فقد كانت تشجعهم وكان صاحبها الاستاذ نصوح بابيل على الدوام يرعى الحركة الادبية ويغذيها بروحه وماله ، وكان محررو هذه الصحيفة الكبرى اصدقاء له وزملاء على مسيرة السنين..

شيوخ الادب وشبانه

وكان السؤال الاخير الذي ختم به حديث هذا اللقاء الكريم مع الدكتور حديثا فحاول الاعتذار عن الاجابة عليه ، غير انه امام اصراري استطاع ان يتلافى الحرج بأسلوب لبق .. فقد سالته عمن يعجبه من ادبائنا الكهول والشبان ؟

وكان جوابه ان قال : ليس علي من حرج اذا تجنبت الحرج ... وكم يعجبني ان لا القي كلاما يفيد اناسا ، ويجرح اخرين ، فحيثما تضع الزهرة على رأس حسناء ، يصبو رأس اخر اليها .. وقد تحمل صاحبته لك موجدة وضغينة ، وليس بطوقي ان انثر على كل رأس مجمع الازاهير .

يعجبني من شيوخ الادب ، من يلحق اسمه في الشعر بالمتنبي ، وفي النثر بالجاحظ .. وعندما سالته من هو ؟ قال انه شاعر الشام الكبير الاستاذ شفيق جبري .. ومن شبان الادب يعجبني ذلك الشاعر الذي تزوج حديثا ووجد حلم انسانيته كيف يخرج من شعره .. وقد كنت اول من فتح لديوانه باب التحليل الادبي في احدى المجلات الادبية اللبنانية بعد ان اهدى الي شعره فقلت يومئذ : هذا امل لي ، أسهمت يوما في وضع لبنة ذهبية في بنائه !

وقد ابى محدثي ان يفصح عن اسمه ، رغم الالحاح والالحاف ..

وخرجت من عنده ، وقد توضحت في ذهني معالم الخطوط التي تصور اشكال واقع حياتنا الادبية ، في بعض جوانبها ، من وجهة نظر احد اعلام الادب والفكر في دنيانا العربية ، وأحد رواد نهضتنا الادبية الذين ما انفكوا يرفدونها بانتاجهم الجيد الخصب ، ويغنونها بثمار عقولهم ، وحصيف افكارهم ، فيدفعون بها الى امام ، في طريق التقدم وبلوغ المستوى الادبي الرفيع الذي من حقها ان تتربع عليه ، جنبا الى جنب ، في مصاف مستويات الاداب العالمية الاخرى .

دمشق (الايام)　　　　مظهر المصري



يونيو ١٩٦٢

٨ ـ وصل القاهرة وفد صومالي اقتصادي برئاسة وزير التجارة في زيارة رسمية .

ـ عادت موسكو فاثارت ازمة برلين . ثلاث مذكرات سوفياتية الى الغرب .

ـ كنيدي يدافع عن سياسة حكومته في تقديم المساعدات للبلدان الشيوعية .

ـ رئيس جمهورية فنزويلا يعد بسحق المتطرفين اليساريين الذين يريدون ان تدور فنزويلا في الفلك السوفياتي .

٩ ـ الكتلة الشيوعية تدعو الى مؤتمر تجاري دولي وضرورة توسيع التجارة مع البلدان الراسمالية .

ـ عاد فانفاني من تونس الى روما . ١٠ ملايين دولار تقدمها ايطاليا لتونس للمساعدة في تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية .

ـ وقع اشتباك بين البيرونيين والعناصر المناوئة في بونس ايرس .

ـ بدأت الحملة الانتخابية في الجزائر .

ـ قدمت امريكا قرضا بعشرة ملايين دولار لليونان .

ـ الصين تحذر الهند من احتمال وقوع اشتباك على الحدود .

١١ ـ حملة اعتقالات ونفي في صفوف المعارضين للجنرال فرانكو باسبانيا .

ـ دخل كريم بلقاسم الجزائر للاشتراك مع الهيئة التنفيذية بمحادثات الصلح والتعايش بين المستوطنين والجزائريين . الارهابيون يدمرون آبار البترول في الصحراء .

ـ رد من القاهرة على اقتراح الاتحاد الفدرالي في دمشق : قبول مبدأ هذا الاتحاد شرط تطبيق المنهاج الاشتراكي .

ـ اتفق امراء لاوس على تاليف وزارة ائتلافية من ٧ محايدين و ٤ شيوعيين و ٤ يمينيين برئاسة الامير سوفانا فوما المحايد .

١٢ ـ اشتداد المعارضة ضد فرانكو في اسبانيا اثر عقد احزاب المعارضة مؤتمرا في ميونيخ واتخاذهم عددا من المقررات .

ـ انتقد راسك قرار مجلس الشيوخ الامريكي بحرمان الدول التي يحكمها شيوعيون من المساعدات الخارجية .

ـ وافقت الجمعية العامة على مناقشة قضية روديسيا الجنوبية .

ـ وقع امراء لاوس على اتفاق تشكيل الحكومة . امريكا تحتفظ بقواتها في تايلاند .

ـ اللواء قاسم يؤكد الغاء السمات وعزمه على معاونة سورية اقتصاديا . اعلن ان خطة الثوار الاكراد كانت تقضي باقامة دولة كردية في شمال العراق تطلب اعتراف وتدخل بريطانيا وامريكا . وقال ان السنة القادمة هي سنة الدستور وسيمارس الشعب حقوقه الانتخابية بحرية تامة .

١٣ ـ بيان جزائري يرفض ضمانات جديدة للمستوطنين . تأكيد احترام الجزائر ضمانات معاهدة ايفيان وعزمها على تنفيذها بحذافيرها .

ـ شكل المارشال ايوب خان وزارة باكستان الجديدة واسند الى محمد علي أحد الرؤساء السابقين وزارة الخارجية .

ـ وافقت بلجيكا على منح رواندا ـ اوروندي الاستقلال في اول يوليو .

ـ خروشوف وكنيدي يتبادلان رسالتين يؤكدان فيهما دعم الاتفاق في لاوس .

ـ اسرائيل تشتكي لهيئة المراقبة وتزعم ان السوريين اطلقوا النار من رشاشاتهم عند الحدود .

١٤ ـ الارهابيون يشددون حملة التخريب ويتجمعون في غرب الجزائر لاقامة دولة ويدعون المستوطنين اليها . الاوروبيون يهاجرون الى فرنسا بمعدل ١٠ الاف يوميا .

ـ الحكومة السورية تنفي انباء استقالتها وتنذر باجراءات حازمة تجاه لبنان .

ـ اشتباك اردني اسرائيلي في حي المصراره في القدس .

ـ وصل الملك الحسن القاهرة . اكتمل عقد رؤساء دول الدار البيضاء الذين يبدأون غدا مؤتمرهم .

ـ القوات السورية تتبادل اطلاق النار مرتين مع القوات الاسرائيلية في الحولة .

ـ محاولة جديدة لاغتيال ديغول . اعتقال عصابة من ٦ فرنسيين تدبر المؤامرة .

١٥ ـ نسف الارهابيون اكبر مستشفيات الجزائر .

ـ اعلن ديغول ان وحدة اوروبا السياسية في طريق التحقيق .

ـ وصل القيسوني وزير الاقتصاد المصري الى موسكو لاجراء محادثات تجارية .

ـ كندا ترفض وضع اسلحة نووية امريكية في أراضيها الا في حالة الحرب .

ـ طلب النائب العام الفرنسي اعادة محاكمة الجنرال سالان وتجريد رئيس الوزراء السابق جورج بيدو من حصانته البرلمانية .

١٦ ـ معركة بالمدافع في سيدي بالعباس بالجزائر الارهابيون مع الفرقة الاجنبية يحاولون احتلالها . اعلنت حكومة الجزائر المؤقتة ان فرنسا لم تف بعهدها في حفظ الامن حتى يوم الاستفتاء .

ـ دعوة مجلس الجامعة العربية للاجتماع غدا لبحث احداث الجزائر .

ـ قررت اللجنة السياسية لمؤتمر ميثاق الدار البيضاء اختيار اكرا عاصمة غانا مقرا للقيادة الافريقية المشتركة . وانشاء السوق الافريقية المشتركة وبدء تنفيذها عام ١٩٦٣ .

ـ قال ماكميلان ان التدابير الغربية الحازمة جعلت وقوع أي اعتداء في العالم غير ممكن دون ان تعاقب الدولة المعتدية .

ـ خروشوف يتهم الغرب بتوريطه في سباق التسلح النووي .

ـ استقالت حكومة كوريا الجنوبية .

١٧ ـ اعلن مصطفائي ممثل جبهة التحرير في الهيئة التنفيذية الجزائرية نبأ الوصول الى اتفاق سلام نهائي . واعلنت المنظمة السرية وقف اعمال القتل والتخريب . ديغول يرحب بالتسوية .

١٨ ـ انقسام داخل المنظمة السرية . فرع المنظمة في وهران وبونه يدعوان الى متابعة القتال . بن بللا لا يعترف بمحادثات مع حفنة من المغامرين يؤلفون منظمة الجيش . قال ان حكومة الجزائر المؤقتة رفضت التفاوض مع هذه العصابة .

ـ فشل عصمت اينونو في تاليف الحكومة التركية الجديدة .

ـ رؤساء دول الدار البيضاء يدعون الى انشاء جمعية افريقية . عين الفريق محمد فوزي مدير الكلية الحربية بالقاهرة قائدا عاما للجيوش الافريقية المشتركة .

١٩ ـ عدلت الوزارة السورية ودخلها ٥ وزراء جدد .

ـ استانف الارهابيون الضرب في وهران . ولكن مدينة الجزائر هادئة والتجول مباح . بن خدة يحذر من استمرار المستعمرين في العمل للتقسيم .

ـ اليابان تدرس طلبا لاقراض مصر ٢ مليون دولار لتغطية عجز ميزان مدفوعاتها .

ـ عاد خروشوف يتوعد بصلح منفرد مع المانيا الشرقية ، لكنه يقول انه لن يحارب من أجل برلين .

٢٠ ـ انهارت مقاومة الارهابيين في وهران . هرب زعيمان من زعماء المنظمة بعد ثورة المدنيين على غلاة العسكريين .

ـ وصل أثينا الملك حسين والاميرة منى في رحلة خاصة الى اوروبا لمدة شهر .
ـ اثناء زيارة وفد عراقي دمشق وضع نص اتفاق اقتصادي مع العراق يحل محل التكامل الاقتصادي الموقع في العام الماضي .
ـ انباء عن اغتيال الدكتور فرانسوا دوفاليه رئيس جمهورية هايتي .
ـ انتهى مؤتمر الفضاء الدولي في جنيف الى الفشل .
ـ ١٠٠ مليون مارك قرض من المانيا الغربية الى الهند .
ـ محادثات راسك وزير خارجية امريكا في باريس لم تبدل موقف ديغول المتمسك بانشاء قوة نووية ضاربة خاصة بفرنسا .
٢١ ـ رفضت المنظمة السرية في وهران اتفاق السلم الذي تم مع الهيئة التنفيذية المؤقتة في مدينة الجزائر . كررت المنظمة مطاليبها الداعية لاقامة مناطق خاصة بالاوروبيين في غرب الجزائر .
ـ امريكا وبريطانيا تبديان قلقهما من حشد القوات الصينية الشيوعية بمواجهة جزيرتي كيموي وماتسو من جزر فورموزا .
٢٢ ـ وجه سالان من سجنه في باريس رسالة ايد فيها وقف الارهاب ولكن حملة التدمير تجددت في وهران .
ـ اعلن في بون ان راسك واديناور متفقان على جميع القضايا التي بحثاها .
ـ امريكا تقدر القوات الصينية الشيوعية المحتشدة بمئات الالوف . بيان بريطاني يشارك امريكا قلقها من الموقف .
ـ استئناف المحادثات بين ادولا وتشومبي حول مستقبل كاتانغا كجزء من الكونغو .
٢٣ ـ ادلى الدكتور العظمة رئيس حكومة سورية ببيان قال فيه ان لا وحدات فورية . البيان يطالب بصفاء الجو العربي اولا . اما الاحزاب والحريات فتعود ولكن تدريجيا .
ـ وقعت روسيا ومصر في موسكو اتفاقا تجاريا قيمته ٦٠ مليون استرليني .
ـ رقابة شديدة في الموانىء الفرنسية والجزائرية لوقف تهريب السلاح والمتفجرات الى فرنسا .
٢٥ ـ احرق الارهابيون ٧ مخازن بنزين في وهران .
ـ اللواء قاسم يقول : نحن مع سورية امام التحدي وسيعم الازدهار جمهوريتينا وتزول الحدود .
ـ اعلن عصمت اينونو تشكيل حكومة تركية ائتلافية .
ـ هيوم وراسك يدرسان في لندن الحشد الصيني الشعبي .
ـ الدول الغربية تدعو روسيا الى مؤتمر للبحث في حوادث الحدود في برلين .

٢٦ ـ موجة رحيل الاوربيين تزداد اندفاعا . رصاص ومدافع هاون تسمع في مدينة الجزائر .
ـ قال عبد الناصر : فلسطين اصعب قضية في العالم ولا خطط عندي لحلها الا الاستعداد .
ـ استقال تانكريدو نيفس رئيس حكومة البرازيل .
ـ ماكميلان يصرح : سنحتفظ بقوة نووية خاصة ولكننا متفقون مع امريكا على التشاور قبل استعمالها .
ـ زار الملك حسين الملك سعود في روما .
٢٧ ـ امر بوفف حملة التدمير في وهران يذيعه الكولونيل دوفور أحد زعماء الارهاب . رحيل الجنرال عاردي قائد المنظمة السرية في وهران
ـ عمان تطلب من الجامعة العربية اختيار مكان غير القاهرة لعقد مؤتمر خبراء فلسطين .
ـ وافقت الجمعية العامة على استقلال رواندا ـ اورندي الموضوعة تحت وصاية بلجيكا . على ان تشكل دولتان هما رواندا وبوروندي اعتبارا من منتصف ليل ٣٠ يونيو .
٢٨ ـ مفاوضات للتصفية في وهران والهدوء مستتب في المدينة .
ـ اذيعت بنود الاتفاق السوري العراقي الجديد وفيها الغاء السمات وتوسيع التبادل والتنسيق الصناعي .
ـ بدأ جلاء الفرنسيين عن جنوب قاعدة بنزرت وتسليمها للسلطات التونسية .
ـ راسك يعود الى واشنطن بعد محادثات غير مثمرة مع البرتغال .
٢٩ ـ دخل الجزائريون الحي الاوروبي في وهران : المفاوضات تسرع في تحقيق المصالحة العامة . اذيع ان بن بللا غادر مقر حكومة الجزائر المؤقتة في تونس على اثر خلاف وفد طرابلس الغرب .
ـ وصلت شحنة سوفياتية جديدة من الاعتدة العسكرية للمغرب .
ـ وافقت بريطانيا على منح محمية اوغندا استقلالها اعتبارا من ٩ اكتوبر المقبل .
ـ وصل كنيدي الى المكسيك في زيارة رسمية .
٣٠ ـ دفعة جديدة من النفائات الروسية لمصر تثير ضجة في الولايات المتحدة .
ـ وصل شاه ايران الى باكستان في زيارة رسمية .
ـ جزء من اسطولين صينيين شيوعيين يتحرك جنوبا . لا توجد ظواهر لحشد هجومي .

يوليو ١٩٦٢

١ ـ بدات عملية الاقتراع على تقرير المصير في الجزائر . اصدر بن بللا نائب رئيس حكومة الجزائر المؤقتة بيانا في طرابلس الغرب تنصل فيه من « الخطوة الخطيرة للغاية » التي اتخذتها الحكومة وجردت بموجبها ضباطا من جيش التحرير من رتبهم .
ـ الصين الشعبية تكرر تحذيرها من غزو فرموزا للصين وتحمل امريكا المسؤولية .
ـ جماعة المظليين الاندونيسيين تنزل مجددا في ايريان الغربية .
٢ ـ نتائج استفتاء تقرير المصير ٩٩٫٧ ٪ نعم . الجزائر تحتفل بالنصر والاستقلال . محاولة انقلاب عسكري على حكومة الجزائر . بن خده يدعو للوحدة . الصراع يشتد بين العسكريين والحكومة المؤقتة . بورقيبة يؤيد الحكومة الجزائرية . عبد الناصر يناشد بن خده وبن بللا الاتفاق . اعلنت قيادة الجيش في غاريكو انها ستقف الى جانب الكولونيل بومدين قائد الجيش المفصول .
ـ اعلن خروشوف ان المعسكر الشيوعي سيقف الى جانب الصين الشعبية اذا هوجمت . اتهم امريكا بالعمل على زيادة التوتر .
ـ اجتمع ايدناور بديغول في باريس . استقبال عظيم لايدناور يكرس مصالحة فرنسا والمانيا
٣ ـ استقبل بن خده ووزراؤه في الجزائر استقبال الفاتحين . وصل بن بللا الى القاهرة معلنا انه سيدخل الجزائر بمفرده . اصدر ديغول بيانا تاريخيا باعتراف فرنسا باستقلال الجزائر . تسلمت الجزائر السلطة من فرنسا . تتسارع الدول الى الاعتراف بحكومة الجزائر ومبادلتها التمثيل . اكد بن بللا ان سبب الخلاف هو اقالة قادة الجيش .
ـ عين دي مورا اندرادي رئيسا للوزارة البرازيلية .
ـ رئيس كمبوديا ينذر بالدخول في نزاع مسلح مع تايلاند من اجل ملكية معبد مهدم على حدود البلدين .
٤ ـ دخلت وحدات من جيش التحرير الى ارض الجزائر من تونس . عبد الناصر يعلن : سانابع السعي لفض خلاف الجزائريين .
ـ وزير خارجية الكونغو يطلب من القوات الدولية اعتقال الجنود المرتزقة في كاتانغا .
ـ اندونيسيا تبلغ يوثانت انها ستستأنف المحادثات مع هولندا حول ايريان الغربية .
ـ استقال مورا اندرادي رئيس وزارة البرازيل الجديد . ازمة سياسية في البرازيل ووضع الجيش في حالة تأهب .
ـ كنيدي يتعهد بشراكة اطلسية مع اوروبا . وديغول يدعو بريطانيا للانضمام الى الوحدة الاوروبية .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت - ت : ٢٤٦١٨٥